وجهة التطور : التجمع البشري

☆

نبين لنا مما سبق : « كأن التطور – في احدى اتجاهاته الكبرى – قد عدل عن نزعته البيولوجية الظاهرة ، وعلى الاقل باتجاه الدوحة التي ختمها الكائن البشري منذ بضع مئات الالوف من السنين – والرامية الى التحقق والامتداد والتنوع بأجناس وفروع وخصائل جديدة » . وان تطور الحيـاة قد تحول ، بفضل الوعي والحرية البشريين ، « الى تطور اجتماعي واخلاقي ونفساني ، هدفه نشوء وبنيان واستنباط القيم والانظمة الاجتماعية والاخلاقية والروحية » .

وهذه الانظمة الاجتماعية والاخلاقية والروحية تنجلي اليوم بمظهر للتطور جديد – من اسبابه الظاهرة والمباشرة : سرعة تكاثر البشر وكثافة السكان المتزايدة والتعقد والتشابك الاقتصادي المتزايد، والكثافة الاجتماعية والمعنوية المتوضحة بتقوية العلاقات الاجتماعية والمعنوية بين البشر بحيث يصبح المجتمع اكثر واكثر كلاً عضوياً – : مظهر التجمع البشري : La Socialisation Humaine . .

فكما أن علم الفلك بعد درس ومقابلة الاجرام السماوية، يمكنّا من معرفة اطوار حياة النجوم – كذلك علم البيولوجيا ، بدرس ومقابلة الاشكال الحية ، قد توصل الى تحديد المراحل والاطوار التي تمر بها الجماعات والفصائل الحيوانية والنباتية في دور تطورهـا . فالعلماء الطبيعيون هم اليوم على يقين ان العناصر الحيوانية والنباتية تظهر ثم تنمو وتكبر وتشيخ وتموت .

ويبدو من الدرس والمقابلة ان العنصر البشري في تطوره الطبيعي خاضع كبقية العناصر الحيوانية لهذا التطور المحتوم. ويبدو ايضاً ان البشرية وصلت الى درجة من نموها السلالي يمكن تسميتها : الجمعية او التجمع البشري ، ونعني بذلك ان الكائن الحي ، عندما تأتلف في هيكله واعضائه الخلايا وجماعات الخلايا ، على تشابكها ، يعمد الى التناسل . ولكن حركة التطور لا تقف عند هذا الحد ، فاذا ما بلغ هذا التناسل حداً معيناً ينزع الفرد الى التجمع في وحدة عضوية مميزة ، وهكذا تظهر النباتات والحيوانات العليا من تآلف الخلايا المنفردة – حقول المرجان من الكائنات الصغيرة الهـائمة او المستقرة ، جماعة النمل وقفير النحل من كائنات الـ Hyménoptères المستقلة . . فعلى كل فرع زوولوجي وعلى فترات متعاقبة لعبت قوة التجمع هذه دورها وفي ازمنة مختلفة من حياة الارض .

واذا رجعنا الى الانسان ماذا نرى؟ . . اول ما يظهر الى الوجود يعيش الانسان ضمن جماعات صغيرة مستقلة على ذاتها . ثم تتوثق العلاقات بين العائلات ومن ثم بين القبائل . . وفي العصر الحجري تظهر فكرة ارتباط الانسان بالارض مؤذنة ببدء المدنية . . وظل الانسان على هذه الحال مدة آلاف السنين من التاريخ . . واذا بنا اليوم نشاهد ، منذ جيل تقريباً ، انقلاباً واسعاً في حياة البشر .

فالانظمة الكلية او الاجتماعية – الفاشية منها والنازية والشيوعية – والتي سيعدل المستقبل من حدتها وتطرفها ، قد نقلت تدريجياً مركز الثقل في المجتمع من الفرد الى الجماعة القومية والاثنية ، وذلك ضمن وضع تنتظم فيه الجماهير الشعبية ويتولى كل مواطن مهمة وظيفة معينة .

ويقول في ذلك تايلاد دي شاردان : « ان الاضطرابات الاجتماعية الكبيرة التي تهز العالم اليوم تعني في الظاهر ان البشرية بدورها قد بلغت اليوم السن الذي تنزع فيه كل فصيلة ، بضرورة بيولوجية ، الى انتظام اعضائها . . ففينا يظهر ان البشرية تقترب من دور تجمعها الخطير » .

على مدى ما تصيبه المؤسسات البشرية من التوفيق والتأليف بين الحرية والوعي المتزايد من جهة وبين الروح الاجتماعية المتوضحة اكثر فأكثر ، يقوم نجاحنا في تكوين العالم الجديد والانسان الجديد الذي هو في نظرنا وبالنسبة للقوى المادية والنفسية الهائلة المسخرة لبنيانه احدى محاولات الطبيعة والبشرية الكبرى .

ويستحيل علينا النجاح ولا يتم هذا التوفيق وهـذا التأليف اذا ما اعتمدنا ، في تكوين الانسان والمجتمع ، قوى التقارب التي تنزع الحياة نفسها الى تقويتها وتوضيحها ، فينسجم اذ ذاك الفرد – باختيار وبتفهم كلي وشامل وبارادة وحرية اساسها وهدفها التضحية والمحبة والخير – بالجماعة وبتطورها وبالتالي بتيار الحياة الخلاق .

كمال جنبلاط

الله عند رلكه

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول

في الشعر العالي تتناوح أنسام الاوتار قبَل الوجد المتقد بقبس من جنبات القدس ، او الشهوة الغارقة في حمأ مسنون يرسب في قاع الحياة، لكنها في كلا الاتجاهين انما تعبّر عن قشعريرة الذات الخالقة في تجاوبها النابض بدم الوجود .

فالشعر العالي يفتتح على صوفية إلهية ، لكنهـا صوفية تأليه الأنا الفنان وهو ينطق بكلمة « كن ! » ليبدع ما تركه الفنـان الاول ، او ليجدد شباب ما أُبدع من قبل ثم سحب الزمان عليه طلاءه الباهت، او ليخلع على الحاضر التافه جلال القدم العتيق العريق .

تراه يتغني بإله الناس، بلغة الناس، فتكون من امره في التباس، ويدفعك الوسواس ، الى تلمس نوايا هذا الماكر الخناس ، المتحدث بلسان الاحساس، فلا تلبث ان تعود خائباً ترتد عنه مبهور الانفاس .

فصاحبنا رلكه، كم قد تقطعت دون اكتناه اسرار شعره اعناق الشراح!

اناب الى الله في ابتهالات تخترق نبراتها حجب الاحدية لتنعم من وراء الرسوم بعين الجمع ، وناجاه بأناشيد تصاعد انفاسها الحارة لتذيب نقاب الحضرة الحديدي ، ناشداً اياهـا في مشاهد الحس الصارخ في كل مكان وزمان : انا أنت !

فالله هو المستقبل المبسوط على طريق الزمان الابدي

«وهو الفجر الكبير البازغ من سهول السرمدية

وهو صيحة الديك بعد ليل الزمان

« انت الندى ، وصلاة الصبح ، بل انت غادة

انت الرحالة ، والموت ، بل انت ام —

انت الصورة المتغيرة ابداً

الصورة التي تنبثق وحيدة عن المصير ،

ومالنا ان نمجدها ولا ان نشكوها،

اذ لم يصفك احد ، ايتها الغابة الموحشة —

انت الأس والجوهر لكل الاشياء ؛

الأس الذي يكتم كلمة سره الاخيرة ،

والذي يتبدى للآخرين شيئاً آخر على الدوام :

يتبدى للسفينة براً وللفلك ساحلاً »

هذا الاله هو إله الفقراء والمساكين من ذوي الايمان الساذج المستقيم الذين لا يسألون، فان «اولئك الذين يسألون لا يعنيك امرهم كثيراً»، اما هؤلاء البسطاء الذين يحملون اعباء الحياة في رضا وتسليم كريم « فإنك ترعاهم بحنـان » . ذلك ان « الذين يبحثون عنك يمتحنونك ، والذين يجدونك يقيدونك بأغلال الصورة والحركة ».

ولهذا فان رلكه يريد ان يفهم الله كما تفهمه الارض : ينضج وبنضجه يُنضج ملكوت الرب . فلا يطلب بيّنة او معجزة عابثة تبرهن عليه وتحتج له . لهذا يهيب به الا يصنع معجزة لاقناعه ، لانه ليس في حاجة الى امثال هذه الآيات التي من شأن المتفيقهين الثرثارين . وفي هذا ليس هو ببعيد عن مذهب اولئك الذين جعلوا شعارهم كلمة ترتليان Tertullian : « أومن لانه غير معقول ».

ذلك ان الباحثين عـن الادلة المتعلقين بالآيات يتهمون وجود الله ، ويثيرون الشكوك لطمسه . انهم يطلبون من الجبال ان تدمى كيما يؤمنوا به ، لكنه يخفي وجهه ، لانه لا يريد ان يرى اولئك الحالمين عذار الحياء .

اما هو فيود ان يكون مثل ناطور الكرم له كوخ منه يحرس، ويسهر فيه، فهو كوخ بين يدي الرب، فيه تقطن بضعة الالوهية التي يمثلها ومنه يسهر على الدنيا . بل هو ليل ليله ، لانه فناء في الفناء الذي هو الله .

وهنا نجد شبهاً عجيباً بين رلكه وبين الصوفية المسلمين في تصورهم جميعاً لله على انه الفقر الكامل . فقد قيل في كتب التصوف الاسلامي : « اذا تم الفقر فهو الله[1] » . ورلكه في «سفر الفقر والموت» انما يمجد الله بوصفه الفقير المعدم المحروم من كل شيء ، حتى ليقول عنه في عبارات تبدو غير مألوفة :

« انت الفقير المحـروم من كل شيء ،

انت الحجر الدائب الدوران دون أن يجد الراحة،

انت الابرص الكريه الطلعة الذي

تنبو عن منظره الاحداق

والذي يحوم حول المـدن حاملاً شخشاخة .

مثلك مثـل الريح لا مستقر لك ولا مكان

وجمالك لا يكاد يستر انك عار

والثوب الذي يلبسه اليتيم ايام الاعمال اروع ممـا تلبس

لانها ، على الاقل ، ملكه .

انت فقير فقر حاجة طفل الى الميلاد

طفل تخجل امه ان تكون اماً

وتضغط على بطنها الى حد يخشى معه ان تختنق

الحياة الاخرى التي تحملها في داخلها وترتعد في رحمها

انت فقير فقر مطر ربيعي ،

---

(١) ضياء الدين الكمشخانلي : « جامع الاصول في الاولياء » ص ٣٥١ قاهرة سنة ١٣٢٨ هـ — ١٩١٠ م .

فقر الوسمي المتساقط بهدوء على سقوف المدينة ،
وفقر الامنية الوحيدة التي يتمناها سجين
وهو في اعماق مطمورته وقد قطع بينه وبين العالم الى ابد الدهر
انت فقير فقر المرضى الذين يتقلبون
طوال الليل على فرشهم ولا يخلون من الهناء،
انت كالازهار بين القضبان
الحزينة في الرياح المختلطة للاسفار
وكاليد التي ترتفع الى العيون لتستر عبرات بالغة الاحزان .
ما الطيور المنتفضة ، اذا قورنت بك ؟
ما الكلب الجائع ، لو ووزن بك ؟
وكم تساوي، قِبَلك، احزان الدواب، المهجورة من الجميع في اسرها،
الاحزان الطويلة الصامتة !
وامامك وامام شقائك ،
ماذا يكون جميع الفقراء في ملاجىء الليل ؟
انهم ليسوا الا حصى متواضعاً ،
ولكنهم مع ذلك يقدمون بعضاً من الجهد
كحجر الطحن في طاحون ..
اما انت فأنت الفقير حقاً ، المجرد من كل شيء ،
انت السائل المحروم الذي يستر وجهه ،
انت نور الفقر العظيم
الذي يتبدى الذهب باهتاً لو قورن به
انت في المنفى، لا وطن لك
ولا مكان هاهنا بعد مكانك
قامتك تسحقنا ، فأنت كبير علينا
انت تنبح في الرياح ،
انت كالقيثارة التي تحطمها
كل يد تمس اوتارها .»

تلك صور ونعوت يخلعها رلكه على الالوهية في جرأة منقطعة النظير تذكرنا بشطحات الصوفية المسلمين وبخاصة بكلمات الحلاج(١) بيد انها ابرع في التصوير وامس رحماً بالشعر الخالص، في غير تدلل ولا ادعاء عريض مما هو مشاهد في تلك الشطحات . وقد يخيل الى الناظر العابر ان فيها تجديفاً واضحاً ، لكن المتأمل المتعمق يستطيع ان يستشف منها خير تعبير عن معاني الله في نفوس الناس المؤمنين به حقاً . فصاحبنا رلكه شاعر يريد ان يتلمس معاني الله في نفوس المؤمنين

(١) راجع كتابنا : « شطحات الصوفية » ، الجزء الاول ، القاهرة سنة ١٩٤٩

الحقيقيين، وليس رجل لاهوت . ولهذا حرصنا على ان نتقدم بين يدي هذه المقاطع الشعرية من « سفر الفقر والموت » بمقاطع اخرى من اسفار كتابه المدعو « سفر الاوقات » الذي يتكون من « سفر الفقر والموت » هذا ، ومن « سفر الحياة الديرانية »، و« سفر الحج ». وهذان الاخيران قد الفهما بين سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠١ ، اما السفر الذي نحن بصدد تحليله فقد ألّفه في الفترة من ١٣ الى ٢٠ أبريل (نيسان) سنة ١٩٠١ في مدينة فياردجيو Viareggio المشهورة على ساحل البحر في ايطاليا .

لهذا لسنا نرى جُناحاً على رلكه ان يلجأ الى تلك الصور التي قد تبدو شاذة في نظر اوساط الناس ، اذا سلمنا بأن الله هو المعنى الكامن وراء المشاهد والرسوم، وانه الاحساس الذي يستشعر المعاني العميقة لمظاهر الوجود، وانه الاماني التي تطوف بنفوس من يحسون به وتملى افئدتهم بحضرته . فهنا عملية تصوير من نوع تلك التي يعبر عنها مبدأ المعرفة المشهور عند افلاطون وبعض اسلافه من اليونان وهو المبدأ القائل بأن « الشبيه يدرك الشبيه » . فاذا كان الله هو الشعور العامر قلوبَ المؤمنين ، واذا كان الايمان الحق هو ايمان المحرومين والاشقياء والمعذبين من كل الانواع، فالله الحق هو ذلك المتمثل في مشاعر هؤلاء، ولن يتمثل لهم الا على انه من اشباههم . أفنعجب بعد هذا اذا رأينا رلكه يخلع عليه تلك النعوت ؟!

لكنه تفسير لو اقرناه به لباعدنا بين اهداف الصوفية المسلمين في قولهم : « اذا تم الفقر فهو الله » ، وبين اهداف رلكه في هذه الاوصاف . لان هؤلاء الصوفية انما يقصدون بالفقر هنا التجرد من كل رسوم الذاتية ، والطمس في عين الجمع الاحدية بالكلية، فيستحيل الفقير الى الالوهية نفسها بوصفها العدم الصافي الاصيل ، اعني المجرد المطلق من كل تعين ، او اللامحدود المتعالي عن كل حد ، لان في الحد سلباً وقيداً وتوقفاً .

أما الفقر عند رلكه حينما يطلقه على الله ، فيقصد به الشعور بالفقر عند المحرومين ، والاحساس بالشقاء لدى البائسين ، وفي هذا الاحساس وذلك الشعور مصدر ادراكهم للالوهية .

لكننا نرى عند احد شراح رلكه المحدثين، وهو فرتز جُنتر Werner Gunther في كتابه «ملكوت الباطن، شعر رينر ماريا رلكه» Weltinnenraum, Die Dichtung R. M. Rilkes ، تفسيراً آخر لله عند رلكه بوصفه الفقر الكامل . فهو يقول ان رلكه يقصد من هذا القول أن يرمز الى الفنان الخالق لآثاره الفنية، كما انه في كل أحاديثه عن الله انما يريد ان يتخذ منه رموزاً تدل كلها على الفنان

في الادب المهجري

بقلم حبيب مسعود
رئيس تحرير مجلة العصبة الاندلسية بالبرازيل

ليس من شأني* في هذا الحديث ان اعرض لكم صورة عن الادب العربي في كل انحاء العالم الجديد، فذلك يقتضي وقتاً طويلاً ودراسة «مستفيضة» وانما اقتصر في حديثي على ادبنا في البرازيل ومتى ذكرت هذا القطر الكبير بمساحته وشعبه فلا يسعني الا ان احيي فيه رمز الكرامة والسماحة، وموطن الحرية والضيافة. فقد فتح صدره لقومنا وغمرهم بعطفه ومتعهم بشرائعه الحرة فأصابوا فيه من نعمه ما اصابوا وكان لهم هذا المقام الذي يحتلونه.

لقد بلغكم ولا شك الشيء الكثير عن مآتي قومنا في البرازيل وسمعتم عن المكانة المادية والادبية التي وصلوا اليها بعد جهاد سبعة عقود من الزمن وفروا له من العزيمة والجلاد ما تضؤل عنده بطولة الاساطير.

ولست معيداً على مسامعكم فصول المآسي والبطولة في حياتهم المهجرية فهي ابعد من ان تستوعبها الكلمة العجلى فأحصر كلامي في الناحية الادبية لعل فيها جلية الذين يعتقدون ان المغتربين اصحاب بيع وشراء وحسب، او ان الادب العربي المهجري ادب مسيخ لا يمت الى الفصحى بنسب.

الاندلس الجديدة لقب اطلقوه على البيئات العربية، وكلها من سوريا ولبنان وفلسطين، التي تكتلت في العالم الجديد وكونت عنصراً له قواه المادية والمعنوية تشبهاً بالاندلس القديمة التي فتحها العرب وانشأوا فيها تلك الدولة التي لم يجل ما قيل فيها حتى الآن حقيقة كيانها؛ فان كل ما كتب في التاريخ الاندلسي من دوزي وكونده ودلريو الى بروفنسال وكوديرا وريبيرا وبالاميوس وغيرهم من الافرنج والعرب لم يسبر غور تلك الحقبة الطويلة من الزمن وهي تناهز الثمانمائة من السنين اما نحن فاننا نستقي تاريخ الاندلس

---

* هو احد اعلام الادب العربي في المهاجر الامريكي واحد اعضاء العصبة الاندلسية في سان بولو بالبرازيل ومحرر مجلتها الراقية «العصبة» وقد جاء لبنان بدعوة من حكومته ليحضر المؤتمر الثقافي العالمي اليونسكو الذي انعقد منذ اشهر ببيروت. والحديث الذي ننشره هنا القاه في حفلة اقامتها له جمعية العروة الوثقى في منتدى «وست هول» بالجامعة الاميركية سنة ١٩٤٩. والاستاذ حبيب مسعود هو صاحب كتاب (جبران حياً وميتاً) وكلاهما من بشري وله مؤلف آخر معد للطبع موضوعه العرب في الاندلس.

نفسه وهو بسبيل الخلق الفني. ذلك أن الفنان شبيه بالله في أنه خالق ينمو عمله أبداً، ولا يمكن ان يتم ابداً، انما هو في نضوج مستمر، ونمو يسير في منحناه المتوثب بين مد وجزر. وهو يحنو على عمله الفني حنو الرحمن الرحيم على الخليقة.

وهذا تفسير لا يخلو من وجاهة كما أشرنا الى مدلول هذا في مستهل هذا الحديث، اذ الشعر العالي يصدر دائماً عن ذات الفنان مهما اتخذ من الخارج موضوعات للعمل الفني والصور وطرائق الاداء.

لكن هذا التفسير يظل قاصراً عن ادراك المرمى العالي لشعر رلكه. فدون ان نذهب الى ما يوحي به حديث جبريل مارسل في بحثه عن «رلكه، شاهد الروحي[1]» من امكان تفسير الله عند رلكه بالمعنى الديني المألوف — وان لم يصرح مرسل بهذا بوضوح فعبارته في هذا الموضع مائعة تماماً لا تكاد تستبين منها رأياً بارزاً —، فان الاصح ان نفسر الله كما يفهمه رلكه هنا بما ذهبنا اليه منذ قليل وهو انه الشعور العام الغامض الذي يملأ نفوس المؤمنين الصادقين، وهم الفقراء والمحرومون او البائسون. وتبعاً لهذا فان تمجيده لهم هو في الوقت نفسه تمجيد لله، وتمجيد الله هو تمجيد الفقراء سواء بسواء.

وهذا التمجيد يتخذ صورة «مشاركة»، بالمعنى الديني لهذا اللفظ Communion في المسيحية، حتى انه لينتهي الى نوع من وحدة الوجود المألوفة لدى الشعراء ذوي المنزع الصوفي. فهو في «سفر الحج» يعطينا هذا المعنى على نحو يذكرنا بأشباهه لدى جيته وبيرن وشلي والحلاج وجلال الدين الرومي، وذلك حين يقول:

«الهي! بودي لو كنت حشداً من الحجيج
يسعى اليك في موكب يمشي على رسله
كيما يصبح بضعة عظمى منك:
يا من انت بستان ذو مخارف عامرة بالحياة.
فان سرت كما اسير، وحيداً فريداً،
فمن ذا الذي يلاحظ ذاك؟ ومن ذا الذي سيراني اسعى اليك»؟

فهو هنا يصور نفسه نسيماً يسري في مناحي الخليقة في سفر صوفي الى حضرة الحق، حاملاً على اجنحته الوردية اولئك المعذبين في الدنيا، الذين استطاعوا وحدهم ان يستشعروا الله حقاً، ذلك أنهم هم مشاهد الالوهية على الارض.

عبد الرحمن بدوي

---

(١) نشره في كتابه «الانسان الراحل»، ص٣١٨، باريس سنة ١٩٤٤
G. Marcel : Homo Viator

من مناهل مؤرخي الغرب وعلمائه ونعتمدهم في دروسهم الاستقرائية ومباحثهم التعليلية فنستشهد بما قاله دوزي الهولندي وريبيرا الاسباني .

ان بين الاندلس القديمة والاندلس الجديدة فرقاً من وجهة وشبهاً من وجهة اخرى ، فالفرق هو ان العرب دخلوا الاندلس فاتحين ففرضوا سلطانهم ونشروا هيبتهم وحموا بسيوفهم مؤسساتهم ومعابدهم ولغتهم فدرج الادب والعلم في ظلال اعلامهم وزها الشعر في خمائل مجدهم ، في حين ان قومنا دخلوا ارض كولمبس مسترزقين طالبين عطفاً وسائلين عدلاً . اما وجهة الشبه ففي هذه الدولة الادبية التي بناها قومنا هناك شأن العرب في الاندلس .

ان لانتقال العربية الى الوطن البرازيلي ونشرها بين عشيرتنا المغتربة بالصحف والكتب حكايات لا تقل غرابة عن حكايات الف ليلة وليلة ، فالصحافة العربية كانت في اول عهدها ضرباً من الاستشهاد ، ومزاولة الادب العربي في تلك البيئة الغريبة كانت نوعاً من الانتحار . ذلك لان مغتربينا الاوائل كانوا في معظمهم اميين او شبه اميين ، ولم يكن همهم الاوحد الا اقتناص الرزق وادخار الكسب . فما قولكم في صحيفة عربية تنشأ بين جماعة شأنها ما وصفت ؟ انها مغامرة ولا جدال . لكن حب المغامرة يجري في عروقنا وقد ورثناه عن اولئك الذين قذفوا باول قارب الى البحر وعرفوا العالم الجديد قبل كولمبوس واميركو بآلاف من السنين ، وعن اولئك الذين توغلوا في قلب آسيا وفتحوا بلاد القوط . من مغامرة مغتربنا الاول الذي ركب البحر الى ديار بعيدة تجهل حتى اسمها أسست دولة ضخمة بصناعتها وتجارتها لا يدرك عظمتها الا من خبرها ، ومن مجازفة ذلك الاديب الذي انشأ اول نشرة عربية قامت عليها الدولة الادبية التي دعيت الاندلس الجديدة .

فالاندلس الجديدة يا سامعيّ الكرام ، هي نشيئة الاديب المغترب الذي استشهد في سبيل قومه ومن اجل لغته ، زهد في كل شيء ما خلا وطنه ، وقنع بالبلغة لكي يحافظ ، على لسانه . وليس الفضل ان تصون لغتك وانت قابع في ديارك وبين عشيرتك ، وانما الفضل كل الفضل ان تصونها وتحضنها وتشقى من اجلها وانت في بلاد غريبة عنك لساناً وعادة وعرقاً .

على ان هذا المناضل الذي ذكرت لم يسلم من افتراء بعضهم حتى ان احدهم وهو من ادباء دمشق عرض بادباء المهجر عامة وتنقص شعراءه . وقد يكون عذره الوحيد انه القى كلامه جزافاً او انه وقع عرضاً لبضاعة تافهة ومثل هذه البضاعة كثيرة هنا وهناك وفي كل مكان . ولو تروى ومحص وكشف الرغوة عن الصريح لادرك ان في المهجر عناصر لها مكانتها الرفيعة في اللغة والادب والشعر وان امثالها قليل في اي قطر من الاقطار العربية . لست مفاخراً ولا مغرقاً فسأورد لكم بعد قليل امثلة من نتاج ادبائنا المغموطين ولكم ان تتخذوا منها حجة لي او علي .

تقلب الادب العربي في البرازيل بين مد وجزر ، وتنازعته عوامل البقاء والفناء مراراً . ولد فقيراً بين حفنة من البشر نزحت عن وطنها طلباً للرزق ، ودرج هزيلاً لسوء غذائه المادي والادبي ، وشب نشيطاً يجري في عروقه دم استمده من قافلة ادبية جديدة لحقت بالقافلة الاولى ، وتعطف عليه بيئة ارتفع مستواها العقلي وباتت تتذوق الادب وتقبل على جيده . اما اليوم فقد دخل في طور كهولته فأينعت ثماره وطاب شرابه . عندنا اللغوي المدقق ، والشاعر المنطلق في اجواء الابداع ، والمنشىء الناصع الديباجة ، والكاتب الذي يجمع بين روعة الاسلوب وعمق التفكير .

وعندنا المدارس التي تعلم العربية وقد طالما اخرجت الالوف من نشئنا وعلى ألسنتهم لغة قحطان ، وفي قلوبهم صبوة لوطن آبائهم وعندنا الاندية التي ما برحت سوقاً يتبارى فيها فرسان الشعر والادب ، ما انطوى علم من اعلام الادب او الوطنية الا مجدت ذكراه بمهرجان ادبي . في تلك الاندية شهر فضل محمد عبده ، وفرح انطون ، وسليمان البستاني ، ومصطفى المنفلوطي ، والحسين ، وفيصل وعبدالله البستاني ، وفوزي المعلوف ، وجبران ، ورشيد ايوب ، والريحاني ، ورشيد نخلة ، وميشال المعلوف ، ونعمه يافث ، وشكري الخوري وعقل الجر ، وغيرهم ممن تفوتني اسماؤهم . اما الحفلة الكبرى التي اقامتها العصبة الاندلسية لذكرى المتنبي الالفية فقد بزت بروعتها وبما قيل فيها من غرر الشعر كل ما القي في الحفلات الاخرى ، ولقد حلق شعراؤنا في سماء الابداع حتى جاوروا شاعر العرب الاكبر .

اما الصحف العربية التي ظهرت في البرازيل منذ بدء الهجرة حتى يومنا فتجاوز الخمسين وقد بلغ عددها قبيل الحرب العالمية نحواً من خمس وعشرين صحيفة بين مجلة وجريدة لم يبق منها الا مجلتان وثلاث جرائد .

لم تكن الصحافة العربية في المهجر الا مدارس نقالة تحمل الى قومنا الثقافة والادب ، ورسولاً ينقل اليهم اخبار اوطانهم وذويهم وبوقاً يذيع مآثرهم ، وصديقاً يؤاسيهم في اتراحهم ويشاركهم في افراحهم ، ومعلماً يلقنهم القراءة والكتابة .

بيد ان ظهور العصبة الاندلسية كان اكبر اثر ادبي في تاريخ الادب العربي بالبرازيل . ففي عام ١٩٣٣ وقد استفحلت فوضى الاقلام ، شعر نفر من ادبائنا على رأسهم الطيب الذكر ميشال بك

معلوف بافتقارهم الى رابطة تجمع شملهم وتصون ادبهم فتنادوا وتعاقدوا واجمعوا على انشاء مؤسسة ادبية دعوها العصبة الاندلسية تيمناً بالعصر الاندلسي الزاهر . وفي عام ١٩٣٥ قر رأيهم على اصدار مجلة تنقل نتاجهم الادبي وعهدوا الى هذا الحقير الواقف امامكم رئاسة تحريرها . وليس لي ان اقول شيئاً في هذه المجلة فالرأي والحكم لمن رافق حياتها وبينكم كثيرون ، وانما لي كلمة اقولها وفاء لحرمة الادب وهي ان « العصبة » كانت وما تبرح الصحيفة التي لم تعنَ لتأثير شخصي مهما كان حوله وطوله ، ولم تعنَ بغير الادب والثقافة ، فمن الادب الذي لا يؤمن الا بالكفاءة والنزاهة والصراحة والتضحية نشأت ، ولاجل هذا الادب وحده تعيش .

تحمل « العصبة » شهرياً في المائة والعشرين من الصفحات نتاج الادباء المنضمين تحت لوائها وغيرهم . ورسالة « العصبة » ان تنقل الى الشرق العربي ادب المهجر والى المهجر ادب الشرق . وهي رسالة وقفنا لها قلوبنا ودفعنا اليها هيامنا بهذه اللغة التي خضناها في جو الحنا . ورسالة « العصبة » ايضاً ان تطلع العالم العربي على بدائع الفكر الغربي لا سيما البرازيلي . ها كم مثالاً هذا المقطع للشاعر البرازيلي الكبير كاسترو الفس وقد نقله شعراً شفيق معلوف رئيس العصبة الاندلسية وعنوانه « العبقري » :

هوَ لو طوّف في الدنيا وجابا
مُدن الارض ذهاباً وإيابا
لقضى العمرَ يمدّ الناسُ عنه

كفّه فارغةً ، والارض ملأى
ولئن قرّب ، والاحشاء ظمأى
فمه للنهر ، فرَّ النهر منه

لم يُصب مأوى ، على وسع الفيافي
لا ولا ظلّاً ، وظل الغاب ضاف
لا ولا ضمة تحنان وعطف

ولئن لوّح في عرض الطريقِ
بيديه ناشداً كفَّ صديق
لم يَفُز الا بتصفيق الأكفّ

سار في ثغرٍ بعيد الدرب وعرٍ
ينقل الخطوات من نصر لنصر
حاملاً من مجده زاداً وقوتا

قيل هذا عبقري لا يموتُ
فمضى يسأل : هل يوماً حييت
يا بني قومي لأخشى أن اموتا

ودونكم هذه القطعة للشاعر البرازيلي فيسنتي دى كارفاليو وقد ترجمها نثراً اخونا في العصبة الاندلسية يوسف البعيني وعنوانها « اختراع الشيطان » .

« تقاسم الله والشيطان هذا العالم فكانت حصة الله الافلاك وحصة الشيطان العالم الموبوء بالمعاصي والشرور الذي لا ينبت الا العوسج ولا يلد سوى الافاعي والغيلان . وخرج الشيطان مرة من وكره الناغل بالعفاريت وصعد الى السماء حيث يرتكز عرش الاله . وفيما هو يتهادى مخلوباً بمناظر النعيم شاهد حواء مستلقية بجسمها العاري في ضوء القمر فحسبها في اول الامر قطعة من المرمر الشفاف . ولكنه دهش اذ علم ان صاحب هذا الهيكل البض امرأة تتمشى في اعضائها حرارة مبهمة ، هي حرارة كل كائن حي .

وما كاد يفكر قليلاً حتى تجسدت في مخيلته صورة اختراعه الفذ فاقترب من حواء وسكب في فمها الوردي الجميل كأساً من السم عند ذاك تبسم بخبث ودهاء ومضى مسروراً لانه اخترع قبلة المرأة » !

ولا ازيدكم ففي ما اوردت كفاية للدلالة على بدائع الادب البرازيلي .

وقعت اخيراً على بحث لاحدهم في ادب المهجر عزا فيه روح التجدد الى ادباء الشمال يوم كان جبران يزعمهم . واتهم اخوان العصبة الاندلسية بالمحافظة على الاساليب القديمة . اقول اذا كان جبران وبعض اخوان الرابطة القلمية قد فتحوا بتفكيرهم اجواء جديدة فهذا لا يعني ان كل اديب في اميركا الشمالية بلغ شأوهم ، او ان ادباء العصبة محافظون لانهم لم يسبحوا في تلك الجواء ، اما اذا كان المراد من الاساليب القديمة الصيغة اللفظية والمحافظة على ضوابط اللغة فليس في ذلك موضع للغمز واللمز . ألم يخلق جواً جديداً فوزي المعلوف في بساط ريحه ، واخوه شفيق في عبقره ، والشاعر القروي في حضن الام . اما اذا كان التفكير الجديد يقتضي اسلوباً جديداً والاسلوب الجديد يقتضي خروجاً على اللغة وبلبلة في التركيب ورطانة في التعبير فاست مبرئاً اخواني من التهمة بل اعلق على رؤوس الاشهاد انهم محافظون اكثر من تشرشل واعوانه .

ثم لا ادري ما يقصد بعضهم بالتجدد وقصة التجدد طويلة تناولتها مناقشات عنيفة بين من يقدسون الماضي ولا يرون الكمال الا في ادب الاقدمين ، وآخرين يزدرون تراث الغابرين ويتخيلون فيه هيكلاً بلا روح . وكلا الرأيين في شرعي مخطىء . اذ ليس في الادب قديم ولا حديث وانما فيه نفيس وتافه ، والنفيس لا يبرح كنزاً في خزانة الفكر البشري مهما تعاقبت عليه الايام ، والتافه سقط لا يؤبه له سواء كان قديماً او حديثاً . الف عام مضت على المتنبي فما هرمت حسانه . واحد عشر قرناً مرت على ابن المقفع والجاحظ وما زال صاحب كلية ودمنة امير القلم ، ومنشىء البيان والتبيين امام الكتاب .

والتجدد ليس علماً يلقن او قواعد تدرس وانما هو نزعة خلاقة في الفكر ، وصبوة في النفس الى الابداع ، وملكة في الطبع

تأبى الانقياد . والمجددون هم صنف من العباقرة اوتوا موهبة الفتح والمقدرة على الخلق وليس في طاقة كل احد ان يكون مجدداً وانما في طاقته ان لا يكون مقلداً .

وسألني بعضهم هل لأدب العصبة الاندلسية اتجاه خاص او طابع يعرف به فكنت اجيب لا اعرف للادب اتجاهاً واحداً ولا طابعاً خاصاً وانما اعرف ان الادب فن كسائر الفنون الجميلة يمكنك منه التعبير عن مشاعرك وتصوير ما يرتسم بافكارك وتدوين ما يجري في ايامك وتعريف ما يقع تحت نظرك من المشاهد وغير ذلك من الاغراض ، واعرف ايضاً ان لكل اديب اتجاهاً وطابعاً تبعاً لميوله وثقافته وبيئته . اما هذه الانماط التي يعرفونها تارة بالمدرسية وطوراً بالوجدانية ومرة بالرمزية فهي اشبه شيء بالازياء التي يستحدثها هواة الطرافة يقبل عليها الناس زمناً ثم يهملونها . قالوا ان هيغو وجماعته ابتدعوا المذهب الرومانطيقي الذي يعتمد المشاعر والخيالات والصور الطبيعية ، والواقع ان هذا المذهب قديم جداً نلقاه في التوراة وفي ادب الهند والاندلس ، كما ان الرمزية التي يريد دعاتها اليوم ان يرفعوا علمها على انقاض الرومانطيقية ليست سوى الصوفية بعينها .

انا لا استنكر المذاهب الكتابية مهما كان شأنها لانها تحمل روح الابتكار ودلائل الحياة فالركود آخرته العفن والجمود معناه الموت ، لكني لا اعتبرها من الادب اسسه واركانه ، فالمذاهب تتغير اما الادب فباق . لقد كانت الموشحات في عصرها بدعة استهوت الالباب ثم خمل شأنها مع الزمن حتى كادت تهمل في ايامنا على انتشار الغناء وهي في اصلها ابتدعت للغناء والطرب اما ادب امرئ القيس وعمر بن ابي ربيعة والمتنبي وابن المقفع والجاحظ وابن خلدون واضرابهم فراسخ كالطود مهما تنوعت المذاهب وتجددت طرق التعبير .

واسمحوا لي الآن ان اسمعكم بعض مقاطع لشعرائنا لم اخترها وانما وقعت عليها هنا في بضعة اجزاء من « العصبة » . ابتدىء بقصيدة في « ساعي البريد » وقد نظمها شاعرنا شفيق معلوف في اثناء الحرب الاخيرة تخيل فيها اماً في وطننا تترقب ساعي البريد لعله يحمل اليها خبراً من ابنها في المهجر .

ساعي البريد وما ينفكّ منطلق   وكل باب عليه غير موصود
يسعى بأكداس اوراق مغلفة   تفوح منهنّ اطياب المواعيد
خلف النوافذ أجفانٌ مشوّقةٌ   إليه تخفق من وجد وتسهيد
بدا فهزّ عقود الغيد مقدمه   هز النسيم لحبات العناقيد
كم قبلة من فم العشاق يحملها   على يديه ويهديها الى الغيد
يا ساعياً بابتسامات توزعها   على الشفاه بلا منٍّ وترديد
كم وجه ام عجوز ان برزت له   لم تُبق من اثر فيه لتجعيد
تلقي اليها كتاباً ان يصب يدها   شدّته باليد بين النحر والجيد
كأن كل غلاف منك ملتحفٌ   بابن الى صدر تلك الامّ مردود

وهذه قطعة لشاعرنا رشيد سليم خوري المعروف بالشاعر القروي عنوانها « الغفران » .

قمت قبل الطيور اشدو حبورا   لا ارى باعثاً لفرط حبوري
مؤنساً وحشة الفضاء كأني   نبأ طيبٌ سرى في الأثير
أتهادى بين الغصون كغصن   وأناغي العصفور كالعصفور
وعلى وجنتيّ للورد ظلّ   عائم فوق موجة من نور
قلت ربي أزال عهد شقائي   أم اراني في عالم مسحور
واذا زهرة كوجنة طفل   جنبها شوكة كناب هصور
فتذكرت ليلة الامس رؤيا   باح لي وردها بسر سروري
ان كفّ الرحمن تحت سكون   الليل بالعفو غلفلت في سريري
فرمت نفحة من العطر في قلبي   وعادت بشوكة من ضميري

واقتطف هذه الابيات من قصيدة نظمها شاعرنا نصر سمعان في « المصدور » :

تزيف دم أرقت به شبابك   أصاب الارض منه ما أصابك
أقبّل الموت تنثره وتسقي   به في كل آونة ترابك
ملأت مسامع الدنيا انيناً   اذعت . . به على الدنيا مصابك
ومالك يا حليف اليأس إلاّ   حديث اليأس عن ألمٍ اذابك
تحسُّ الكف كف الموت فيها   اذا لمستك او مسّت ثيابك

واخيراً هاكم هذه الابيات من قصيدة لفقيد الادب العربي عقل الجر بعنوان « امي » :

ذكرت ولكن كحلمٍ عَبَرْ   أموراً تقضّت زمان الصغرْ
غداة ادبّ دبيب النمال   وحولي تدب صروف القدر
اتمتم لا مفصحٌ كلمة   فتحسب امي كلامي درر
واعبث في البيت مستبسلاً   فأي اناء أصبت انكسر
وأبكي فيضجر بي والدي   وليس يُلمّ بأمي الضجر
فتلهب خديّ في لثمها   وتمسح من مدمعي ما انهمر
فديتك أمّاً تسام العذاب   النهار وفي الليل ضنك السهر

هذا مثال خطيف من ادب الاندلس الجديدة اقتصرت فيه على النظم دون النثر . هذا من شعر المهجر الذي ابى احدهم ان يتعرف اليه لانه ليس شعراً عربياً . وقد قال فيه آخر أنه من طراز الجاهلية .

لا هذا ولا ذاك بل هو شعر جمع الى فخامة الديباجة دنيا من الالوان والصور والرقة والفتنة .

اقول مجاهراً في هذا المعهد العلمي الذي يحترم حرية الرأي ان ادب المهجر مغموطاً حقه وان اديب الاندلس الجديدة مبخوس فضله . ولكن ان لم تقدر الاقوام العربية اليوم شأنه فسوف تقدره غداً بعد ان تفقد الاندلس الثانية وتقيم له ضريحاً رمزياً يحمل هذه الكلمات : « هنا يرقد الاديب العربي المجهول » .

حبيب مسعود



غيوم

غيوم اسم مجموعة شعرية للاستاذ رياض معلوف صدرت باللغة الفرنسية في البرازيل ١٩٦٣ وفيها مقدمة باللغة البرتغالية لمونتي دل بيكيا عضو المجمع العلمي البرازيلي وترجمت ايضاً الى اللغة الانكليزية بقلم المستر سدلر الدكتور في الآداب من جامعة اكسفورد وصدرت في ١٩٦٨ ويقدمها ناظمها باللغة العربية الى قراء الاديب

☆

الشبابة

.. وكانت القصبة الخضراء
تعكس ظل الشبابة السوداء

موسيقى

في شرايين اوتار القيثارة
تسيل وترتجف وتغني
دماء الشحارير الجريئة
شهيدة اصواتها الجميلة !
كأن في اصابع
مدير الفرقة العشرة
عشرة عصافير ..
فيده المضطربة
ترسم في الهواء الحاناً
يعزفها موسيقيو الفرقة
فعيونه حالمة ، وقامته ملتوية راجفة
كالقصبة . في هذه الفرقة العاصفة
حتى خيل الي انه لم يبق منه
سوى ظل الظل .

معزوفة الحسن

في كل كلمة من كلماتك
وحركة من حركاتك
يتمثل لون ونغم
من معزوفة حسنك الخالد
لكل الناس ملكوت السماوات
وانا لي فقط ملكوت عيونك
عندما اقبلك واضمك الى صدري
احس انني المس السماء باصبعي !
انني اخشى ان يسود الليل
احلامنا .. هذه الطيور البيضاء .
شعورك الشقر تضحك من الشمس
وعيونك الزرق من السماء
في كل طرفة من جفونك
يتطاير حلم من اهدابك ...

تأملات

كل ورقة منتثرة مائتة
هي صفحة من صفحات كتاب الخريف
التي تمزقها الريح
ما هذه الاشجار العارية
سوى حريم الخريف
شعور البحر المجعدة
في هذه الامواج
التي يجعدها النسيم
لو كنت آدم
لارتكبت الخطيئة ذاتها
ألم نداعب احياناً صفحات الكتاب
كمن يداعب امرأة جميلة
اليس من العجب ،
ان تكون هذه القطرة الطائعة
ابنة البحر الهائج
الذي اذا ثار ثائره
طغى على القارة وغمرها كلها
اكل هذا الكد والجد والنقمة
لهذه اللقمة ..
اليس المحيط مرآة الافق
المائعة ؟
من حبة رمل
تعرف كل اسرار الصحراء ..

ظلال

ووراح النور يمحو
ما يرسمه الظل
ايها الظل ،
ايها النور الاسود
والفحم الذي لم تلتهمه الشمس بعد
والجمرة السوداء
المهرقة في كوب النهار

الحمام

ايتها الورود
الراقصات باتساق واتفاق ..
ما انت ايها العطر ،
سكر ، دعابة ، لحن ، نور
دم ، بسمة ام زفرة الورود
التي ذهبت ضحية عطرها ؟

غيوم

ماذا اقول لك ؟
فراشة ؟ دمية ؟
ام غيمة شقراء..
تحت صورة غيمة بيضاء
على صفحة الماء
فما اجمل الغيمة
التي تعكس ملامحها
على ملامح المياه
ايتها الغيمة الخداعة
يا سراب الافق
ايتها المجنونة المجنحة المتطايرة
أأنت رعشة
ام انشودة ؟
ام زفرة النجمة
ام ريشة عصفور ازرق
هارب .. منفلت
من السماوات

رياض معلوف

امرأة نادرة

لادموندو دا اميتشي Edmondo De Amicis ترجمها عن الايطالية : مصطفى آل عيال


تكاد الشمس ترسل آخر تحية لها فوق الهاري والحقول حتى تشعر الروح بحزن عميق صامت يزحف اليها . وما اشبهه بذاك الحزن الممزوج بالخوف الذي يهاجم قلوب اولئك الاولاد الذين هربوا في صبيحة احد الايام من بيوتهم وقد داهمهم المساء وهم يهيمون على وجوههم في الحقول . ومما يزيد الطبيعة حزناً نقيق الضفادع الممل ، ومما يزيدها رهبة نباح الكلاب المتواصل . كل ذلك مجتمعاً لا يخيف السابلة بل يشعرهم بالعزلة ووحشة المكان فتنقبض اسارير وجوههم ويتلددون مساهم ان يروا شيئاً ما يبدد لهم ما خامر نفوسهم .

اجل ان تلك الساعة من المساء في الهاري لهي ساعة حزينة ، حتى ولو كان الفتى بجانب فتاته التي يهيم بها حباً ويظن انه بلغ اوج السعادة بقربها فلا بد له ان يعترض خياله صور محزنة وتنطق شفتاه بكلام شابة الحزن وربما الفزع .

في هذه الامسية وفي احدى الممرات المنعزلة التي تساير سفح الجبل وقد اقيم في وسطها بيت القربان المقدس للعذراء ، كان شخصان ، فتاة وجندي ، يتناجيان بصوت منخفض ومتواضع . هي جلست على حجر وركزت مرفقيها على فخذيها واسندت ذقنها على راحتيها ، وهو وقف امامها ووضع ذراعيه فوق صدره . كان يلبس فوق رأسه قبعة الجندي الغير الرسمية والتي يسميها الجنود قبعة العمل او الكدخ وعلى ظهره معطف ثقيل طويل وامام قدميه كيس وفوقه صرة . كان منظر الفتاة يوحي بالاسترخاء والتعب وعيناها لا تفارقان الارض . كان النور الضئيل المنبعث من امام صورة العذراء يلف الفتاة بشعاعه الشاحب فيظهر وجهها المخبوء بين راحتيها وتبرز حول عينيها آثار بكاء دام طويلاً . اما الجندي فكان اعزل من السلاح ولا يتمنطق بحزامه فكأنه في اجازة . وقد تلقى دعوة منذ ايام قلائل لحمل السلاح ، ولم يبق لديه غير هذه الليلة . كان عليه الحضور في صباح الغد الى اقرب مدينة من قريته . واقرب مدينة تبعد عشرة اميال او ما يقارب ذلك .

والمتطلع اليهما بامعان يفهم من سكوتهما الطويل الذي كان يتخلل كلماتهما بانهما منذ ردح وهما في هذا المكان . كان السكون الكلي يشملهما برهبته ، لا انسان ولا حيوان يعكر عليهما عزلتهما فقد كان من حين لآخر تصلهما بعض الاصوات كالهمس من البيوت والاكواخ القائمة على سفح الجبل المطل على القرية وكذلك تصلهما بعض الانوار الضئيلة آتية من ابواب تلك البيوت وهي تنفتح وتنغلق لتستقبل اربابها او بعض الزوار .

وبغتة اقترب الفتى من فتاته وامسكها بكلتا يديه وقد وقفت هي ايضاً ثم قال لها بصوت يشوبه الخجل والرأفة والخشية ، هذه الصفات التي طالما نزين بها صوتنا عندما نريد مناجاة شخص عزيز علينا . قال لها كلمات فيها شيء من الحزن : — لقد تأخرنا يا عزيزتي . علي ان اذهب الآن . علي ان اكون في المدينة في صباح الغد الباكر والشقة بعيدة كما تعرفين .

قال هذا وسكت ونظر الى وجه فتاته . لم تحر جواباً بل



اقتربت منه ووضعت يديها برفق على كتفه واتكأت فوقهما برأسها واجهشت بالبكاء .

– تشجعي يا املي ، ستكون بمثابة نزهة لي سأطلق بضعة رصاصات على العدو الغادر واعود كما اذهب .

– ستعود . . . ومن يدري . . . – قالتها وقد خنقتها العبرات ومرت لحظة صمت . ثم اردف الجندي قائلاً : – الى اللقاء اذاً – وتناول رأسها بين راحتيه العريضتين ورفعه وقبلها فوق جبهتها . ثم انحنى والتقط كيسه ووضعه على ظهره واحكم ربطه بالحزام والتقط الصرة ومديده مودعاً . كانت هي تغطي وجهها بوزرتها وكأن ألم الفراق افقدها صوابها ، كانت واقفة كالتمثال ، ثم بغتة عادت اليها انفاسها وامسكت يدي الجندي بكلتا يديها وقالت له بلهفة : – ستكتب لنا ؟ قالتها بصوت فيه لهجة الجد والآمر والمستعطف وهي تقصد تأخيره عن فراقها ولو لحظة اخرى :

– ستكتب لنا كل يوم ، اليس كذلك ؟

– هذا محال يا عزيزتي – اجابها بنبرات يغلبها الحنو .

– ولماذا ؟ سألته وفي صوتها شيء من الاستعطاف والتوبيخ .

– اذا مشينا طول النهار وطرفاً من الليل كيف يتسنى لي ان اكتب اليك مثلاً . – اجل . . . لم افكر بذلك . . . ولكن على الاقل هلّا كتبت لنا كل مرة تشتبكون والعدو في معركة . . .

يا له من سؤال ساذج ، فلو قالت له مثل هذا الكلام قبل ان يدعى الى حمل السلاح لكان ضحك كثيراً . اما الآن فلا يدري ما هذا الشعور القاصف المحزن الذي داهمه واحس بيد تقبض له على قلبه فتضيق انفاسه ، وما عليه الا ان يتخلص من هذا المأزق باسرع ما يستطيع . هجم عليها وعانقها وقبلها بسرعة البرق واسرع الخطى راكضاً دون ان يلتفت الى ورائه .

– اسمع ! صاحت بصوت ملؤه اليأس والاستعطاف راكضة وراءه فاتحة ذراعيها : – استحلفك بالله هلّا عدت لاقول لك كلمة اخرى تهمك .

لم يتوقف ولم يلتفت . اما هي فقد غطت وجهها براحتيها وبقيت جامدة كالصنم في وسط الطريق . ثم عادت ادراجها وسقطت جاثية امام العذراء والدموع تسح من عينيها سحاً وشهقت وتأوهت وندبت حظها كما يفعل الاطفال .

تابع الجندي سيره مسرعاً بدون ان يلتفت حتى وصل الى مفرق فوقف وبعد لحظة من التردد التفت نحوها فرآها . وكانت هي ايضاً في هذه اللحظة قد رفعت رأسها ولاح لها بانها تراه فنهضت واقفة وليتها لم تفعل . لقد اختفى وراء المنعطف وكان يسير مسرعاً في الطريق على عدوة الوادي المؤدي الى المدينة .

***

بلغ فيلقه في اوائل نوار ومن ثم كان يكتب تقريباً رسالة كل يوم الى اهله ويتلقى تقريباً كل يوم رسالة اما من امه اوابيه او خطيبته . كانت كل الرسائل التي ترده محررة بيد هذه الاخيرة لان لا احد من اهله قادر على ان يخط ولو جملة واحدة بسيطة مفهومة .

اشترك في المعركة المسماة بمعركة الرابع والعشرين من حزيران . وبعد هذا التاريخ مضى على اهله اسبوعان دون ان يتلقوا ولو كلمة واحدة منه . ما اشد ما كان قلقهم ونبضات قلوبهم . انهم لم يعرفوا طعماً للراحة طيلة هذه المدة ، وقد اراد الله ان تصل منه في احد الايام رسالة . يا له من عيد . كانت الايدي ترتجف وهي تفتحها . . . اواه . لم تكن مكتوبة بيده . . . لقد امتقع لونهم واصفارّت وجوههم . ولكن بعد ان قرأوها ارتدت اليهم بعض الطمأنينة . اخبرهم في الرسالة عن جرح طفيف جداً اصابه في يده بعد تلك المعركة والتي استبسل فيها هو ورفاقه كل الاستبسال ، سرعان ما يبرأ ويزول كل اثر لجرحه بعد بضعة ايام . وانه كاد يغادر المستشفى لو لم تعد اليه الحمى على اثر الدماء التي خسرها من جراء ذاك الجرح .

وهكذا فقد عاد البشر الى اولئك الناس وعذروا ولدهم لعدم كتابة الرسالة بيده هو لان يده اليمنى هي المصابة وكانت اصابعه تؤلمه ألماً خفيفاً جداً على زعمه .

بعد مضي اسبوع على الرسالة الاولى تلقوا الرسالة الثانية وكانت مكتوبة بيده هو هذه المرة . وعرفوا بانه قد التحق ثانية بفيلقه وهكذا ما عاد احد يتكلم عن ذلك الجرح البسيط وشكروا الله مراراً على نعمته ولطفه .

مساكين هؤلاء ! لو كان الامر بسيطاً كما اعتقدوا لحق لهم ان يشكروا السماء كثيراً ولكنهم يجهلون حقيقة الواقع . ان ولدهم اصابته رصاصة في رجله من بعد مئة متر عن العدو وهو يهجم عليه هجوم الاشبال فنقل على اثر ذلك الى المستشفى وحكم الاطباء بقطعها من الفخذ .

وبعد مضي اربعين يوماً صنعوا له رجلاً من خشب وعكازين واعطوه براءة عند خروجه من المستشفى وقال له احد الاطباء المتفلسفين : – عد الى اهلك ايها الشاب البطل المسكين . لقد قمت انت ايضاً بقسطك في هذا التنازع في الحياة والذي لا ولن ينتهي . .

كتب الى امه يعلمها بقدومه ويحدد لها يوم وساعة وصوله، ثم اراد ان يقص عليها ببضع كلمات ما اصابه حقيقة وما لاقاه وفي اية حالة هو . امسك بالريشة وابتدأ فعلاً يخط اول كلمة، ولكن سقطت يده ولم يدر كيف . . . لقد هاله ان يرى اهله في ذعر والم ويأس من اجله . وهاله ايضاً ان يخدع والدته . فكر بخطيبته واصحابه وخلانه عندما يرونه على تلك الحالة، أينفرون منه ام يرثون له . تصور الذعر والتأثر على وجوههم فاكهد ذلك وامسك بشعره يشده يائساً ثم بكي وبكى . .

وصل الى المدينة القريبة من قريته . بات ليلته في احدى الخانات وفي اليوم الثاني ساعده صاحب الخانة على الصعود الى عربة محملة باكياس الدقيق وكانت ستمر من قريته .

كانت الطريق طويلة مملة وهي تنحدر الى اسفل الوادي ثم ترتفع الى اعلى القنن . في تلك الساعة كان جندينا ممدداً والنعاس يغالبه . لم تغمض له عين في الخانة . لقد كان قلقاً . والآن قد هاجم رأسه مئات من الافكار والافتراضات والهواجس والاوهام والشعور المؤلم، فكر بان ليس له خلاص من كل هذه الرزايا الا باستسلامه الى الكرى وقد ساعده على ذلك وحشة الطريق وطولها وبطء العربة في انحدارها وصعودها . وما كان يعكر عليه غفوته من حين لآخر غير الحفر العديدة التي تملأ الطريق فكانت العربة تهبط فيها ثم تنهض متثاقلة ولها انين المستغيث المتألم . وما كادت تنتهي من صعودها وتخرج من بين الادغال التي كانت تخيم فوقها حتى شملها نور الشمس من كل جهة . فتح جندينا عينيه وليته لم يفعل لقد رأى تلك التلة ذاتها وتلك الطريق التي شهدت الوداع بينه وبين خطيبته ثم تلك البيوت، بيوت القرية . اغمض عينيه بسرعة والقى برأسه الى الوراء وغطى وجهه براحتيه، لقد تملكه ذعر واي ذعر . ان دقات قلبه اسرعت واشتد دوران الدم في عروقه، وكان في رأسه طنين قوي كأن هراوة غليظة وقعت على امه . وبقي هكذا برهة، ثم اراد ان يتخلص من هذه الحالة تدريجياً . فابتدأ بأن يرفع رأسه رويداً رويداً وولى ظهره تلك الرابية وأشاح بوجهه الى الجهة الثانية . واول ما ابتدأ بالنظر الى الحصان ثم رفع عينيه قليلاً ودفعهما امامه نحو الطريق والتفت يمنة ويسرة ثم رفع نظره اكثر فاكثر . اللهم عفوك .

ها هي تلك البيوت ذاتها تلوح له، وبغتة خفق قلبه خفقة قوية كأنه اصيب بمكروه . كانت البيوت والاكواخ لا تزال بعيدة عنه ومع ذلك كان يراها كأنها بقربه . كان يتصور والديه واصحابه حين يلتفون حوله ويساعدونه على النزول ساعة وصوله، رباه ! ماذا يقول لهم ؟ وكيف ينظر الى وجوههم العزيزة ؟ من المحتم انهم ينتظرونه الآن جماعات جماعات في الطريق امام بيته او في باحة الكنيسة . لاح له بأنه يسمعهم يهمسون فيما بينهم باصوات منخفضة وهم يشيرون اليه، وانه يتبين صوتاً حبيباً عزيزاً عذباً حلواً من بينها فيشعر بانقباض وحزن . كان يتمنى لو ان تكون تلك البيوت بعيدة وبعيدة جداً جداً . . ولكن واأسفاه . كانت تقترب منه او يقترب منها لا يدري بسرعة هائلة مخيفة فيطأطئ رأسه ويغمض عينيه كي لا يراها وليته لم يفعل لانه لا يكاد يفتحها بعد برهة حتى يراها وكأنها اصبحت امامه، كانت تنهب اليه الارض نهباً . غيّر جلسته وولى ظهره الحصان كي لا ترى عيناه ما امامه، وكانت النتيجة بالعكس . فانه كان يلوي عنقه من حين لآخر ليلقي نظرة خاطفة على القرية مما كان يسبب له ازعاجاً في كل جسمه وألماً في رجله المبتورة . عاد الى جلسته الاولى والى القاء النظر عن يمين وشمال، فلا تمر به شجرة او صخرة او رابية الا وكان لها ذكراها في رأسه . كم حضر الى تلك السنديانة المتشعبة الافنان ذات الجذع المتجعد المشقق وكم استمعت الى نجواه وحبيبته خصوصاً في تلك الليلة عندما اوصته والدته بالا يبتعد كثيراً عن القرية . كانت ليلة مقمرة والسماء صافية الاديم والهواء عليلاً والسكون شاملاً وشذا الاعشاب والازهار منعشاً . كل شيء يغري بتلك النزهة وقد توسل الى خطيبته كي تصحبه الى تلك السنديانة ولم تذعن الى توسلاته الى بعد الجهد الجهيد . انها قروية والقروية تخشى الخروج ليلاً بعيداً عن بيتها حتى ولو كانت بصحبة خطيبها . لقد جلسا الى ذلك الجذع وكانت مناجاتهما بضع كلمات خاطفة ترتجف فيها العاطفة المشبوبة، وامتدت يده تفتش عن يدها فاطبقتها فتناول قبضتها براحته فسحبتها منه بعنف لطيف فشد عليها وبدأ يفتح لها اصابعها الواحدة تلو الاخرى وما يكاد يفتح الثانية حتى تنطبق الاولى وهكذا دواليك حتى كلت اليد الناعمة فانفتحت كلها واستسلمت . .

ان هذه الذكرى الحلوة أنسته ما هو فيه، انسته الحرب وما لاقاه من الالم والحرمان وساقه المبتورة . تصور ذلك الوجه الحبيب وساعة لقياه والسعادة التي تنتظره، انبسطت اسارير وجهه وهزه الفرح من رأسه الى اخمصه فاسكره وانساه كل شيء . وشعر بواقع يهيب به ليقفز من هذه العربة البطيئة فدعس برجله المبتورة على الخشب واراد النهوض بدون ان يستعين بيديه، وما كاد يفعل حتى احس

بالم الجرح الذي لم يندمل بعد . وكان المًا قوياً جعله يصرخ ويسقط مكباً على وجهه فوق الاكياس . ان شدة الوجع ردته الى عالم الحقيقة فأمسك بشعره بشدة وبكى وانتحب .

– انها لن ترضى بي على هذه الحالة الشنعاء ، انها لن ترضى بي بعلاً لها :

آه . . . – بقي كما سقط لا حراك به والاحسن له ان يتحرك وينظر ما حوله كي لا يرى شيئاً يثير له الذكريات فالالم .

***

كان بيته يموج موجاً بالاهل والاصدقاء والاصحاب الذين اتوا لاستقباله على احسن ما يحب .

ما كاد النهار يطلع حتى هب والداه واسرعا الى ارتداء احسن ما عندهما من الثياب كما يفعل الاولاد ليلة العيد . ثم قام كل واحد منهما بفتح الابواب والنوافذ على مصاريعها وبدأا يصفقان بايديهما ليوقظا اولادهما ، فكان هؤلاء يستيقظون متثاقلين كارهين لهذه الضجة التي كانت تعكر عليهم نومهم الهنيء . ولكنهم لا يكادون يتبينون السبب حتى يهبوا دفعة واحـــدة رافسين بارجلهم الصغيرة ملك الكرى ثم يسرعون هم ايضاً ويرتدون احسن مـــا عندهم ويخرجون الى الجنينة ثم الى الطريق ومنها الى الساحة فرحين طربين يؤدون بدقة وسرعة واطاعة عمياء ما يطلب اليهم .

واتت الخطيبة ايضاً راكضة لاهثة ، وكان بصحبتها صديقتان وكلهن لابسات (فساطينهن) الفضفاضة المزركشة الالوان الفاقعة وقد ازدان رأس الخطيبة بباقة من زهر الحقول المشعشعة النادرة . وابتسمت لها والدة الجندي فاحمارّ وجهها وعلاه الخجـــل ورمت بنفسها بين ذراعيها ثم تملصت منها بلطف وبدأت هي ايضاً تجول في البيت وتساعد على تنظيف المفروشات وترتيبها وتنضيدها . وهكذا ما كاد ينتصف النهار حتى اصبح البيت كالعروس المجلوة معـــداً لاستقبال جندي باسل يعود من ساحة الوغى جريحاً . هذا ما كانت تقوله والدته للنسوة اللواتي كن حولها .

دعت ام الجندي الخطيبة واجلستها امام المرآة وبدأت تصلح لها ما تشوه من هندامها وكانت كالدمية بين يديها تفعل بها ما تشاء ولما تمّ كل شيء ولم يعد فيها موضع انتقاد لناقد قبلتها بين عينيها وتركتها وشأنها . قامت الفتاة خفيفة ووقفت امام المرآة ورفعت احدى رجليها واحكمت كعب القدم الثانية على الارض ورفعت ذراعيها الى علو كتفيها ودارت دورة او اثنتين فارتفعت اطراف ثيابها من حولها وهكذا استطاعت ان ترى نفسها في المرآة من جميع النواحي فابتسمت ابتسامة الرضا والارتياح وخرجت الى حيث اترابها وصويحباتها .

كان الكل في حركة مستمرة . هذه تقص نكتة تضحك من حولها واخرى تذكر اياماً حلوة مضت وثالثة تفتخر بمغامراتهـــا ورابعة وخامسة . . . والخطيبة تمر امامهن جميعاً وتتمايل كالغصن الاملود الفضي . كان اخوها يداعبها وما اخف مداعبته . كان يقرصها في ذراعها ويستمتع بصراخها من شدة الالم . اما صويحباتها فكن يشددن لها اطراف ثوبها او يهمسن لهـــا في اذنها بعض الكلمات فتضحك تارة وتحمارّ اخرى . . . اما والد الجندي فكان يظهر من حين لآخر واقفاً على عتبة الباب وهو يقول بوجه عبوس مجد : – انه لن يأتي .

فتسرع اليه الفتـــاة وتستفسره : كيف ولماذا ومن اخبرك بذلك ؟

وتتغير الوانها ويخفق صدرها ، فيجيبها بتمهل .

– هذا ما استنتجه ، قالها وابتسم . وما رأته يفعل حتى عادت الطمأنينة الى قلبها وقالت :

– اجل لقد حدثت نفسي بانك تمزح ، انه ما تأخر قط عن موعد ضربه لنا منذ ان عرفته ، ثم التفتت الى الام وسألتها :

– هلا ترين شيئاً على الطريق ؟

– اجل عربة بعيدة جداً ؟

رجعت الى حديثها مع الشيخ ، كانت حيرى لا تدري ماذا تفعل ، لقد اقتربت العربة وكان الجندي لا يحـــول نظره عن بيته منذ ان رآه . كان سادراً عن كل ما يحيط به الا بيته فكأنه نسي حتى محنته : ان علامات البله كانت بادية في نظراته . كان يقترب من بيته كأنه يقترب من مكان مجهول وكأنه انطفأ كل شعور في نفسه هذه هي طبيعة الانسان . نراه غالباً يفكر ويظن ان ما اصابه من مصيبة لن يقوى على حمله ابداً ثم ما تكاد تمضي برهة على ذلك حتى نراه ساكناً راكناً مستسلماً . أتكون شدة الالم او كثرته هي التي تسبب تخدير الاعصاب . ربما ، وكان صاحبنا قد نسي تماماً مـــا يحمل لاهله من الذعر والحزن والالم . فقد فتح عينيه وفغر فـــاه واستمع الى قعقعة الدواليب وهي تسير فوق الحصى . كان يلهو بحركات آلية اقرب منها الى حركات الاطفال الذين يمدون يدهم الى كل شيء تقع عليه ثم يودعونه افواههم ، كان يمر باصابعه مراً خفيفاً فوق ساقه المبتورة علّه يسكن ذاك الالم الخفيف المستمر الذي كان يشعر به . . وبغتة انتفض وصرخ ومد يده متوسلاً .

— عطفاء عطفاء ارحميني . .

لقد مرت به العربة بقرب بيت جسد الرب وتذكر الليلة الاخيرة ليلة الوداع، تذكر فتاته ونجواهما ، لقد ردته هذه الذكرى الى عالمه الحقيقي . وفي هذه اللحظة طرق مسمعه صيحة عالية جعلت الدم يجري في عروقه بسرعة . رفع رأسه وتطلع ورأى . . اسرع الى ساقه الخشبية يربطها في مكانها فلم يستطع . جرب وجرب وعبثاً حاول . رباه . ما العمل ؟ انهم يقتربون منه فاتحين اذرعهم له وافواههم متأهبة لصيحة الفرح . كان المسكين يفرك ساقه المبتورة بكلتا يديه كمن اصابه مس من الجنون . آه ! هـا هم اصبحوا على قاب قوسين منه اوادنى . كانت امه على رأس القافلة فمدت له يديها وقد علا محياها ابتسامة ملائكية . صعدت الى ابنها وصوبت فرأت ويا لهول ما رأت ! صرخت من اعماق نفسها صيحة كلها يأس ولفت ذراعيها حول عنقه وبكت بكاء مراً وقد غطى الحاضرون وجوههم بايديهم ورسموا اشارة الصليب عليها .

ترجل الابن بعد دقيقات . . . كان تفكيراً واحداً يخالج نفوس الحاضرين كلهم : ايتركونه يمشي لوحده ام يحملونه . اجل يجب ان يحملونه . كلا ! . كلا . الاموات فقط تحمل .

مر هذا الخاطر كالبرق وكان الجندي في اثنائه يتوكأ على عكازيه . وكي يوفر على ذويه هذا المنظر المؤلم جعل يقفز قفزاً حتى وصل الى البيت ، وحدجه الجميع وهو يفعل ذلك ما عدا امه والفتاة خطيبته فقد طمرت الواحدة وجهها في صدر الاخرى .

وما كاد يلج البيت حتى احدقوا به من كل جهة واجلسوه الى الطاولة فجمع ذراعيه فوق بعضها واتكأ على الطاولة واسند رأسه فوقهما . ولم يشعر الا ويد مرتجفة تحط على جبهته . رفع رأسه فرأى صدراً حنوناً هابطاً صاعداً يلهث لهثاً من شدة تأثره وسرعان ما طمر وجهه فيه ، كان السكون رهيباً شاملاً . ما كان احد يجسر على الابتداء بالكلام ، وبغتة انفجر ببكاء حار . تملص الجنـدي بلطف من ذراعي والدته واجال الطرف فيما حوله وصاح وكانت عيناه تتلألآن بالدموع . — اهذا هو انت يا عطفاء ؟

ثم فتح ذراعيه . فما كان من الفتاة الا ان القت بنفسها على صدره بحركة عنيفة تنم عن الشوق والحسرة .

لقد طرأ على الام فكرة عاجلة ، التفتت الى النظارة حولها واشارت لهم اشارة اختفوا على اثرها ، ثم تبعتهم هي ايضاً .

رفعت الفتاة رأسها واجالت طرفها ولما تيقنت ان الدار خلت الا منها اتت بكرسي ووضعته بجانب فتاها وقعدت بقربه وامسكت له يداً بيسراها ووضعت يمناها على كتفه وشرعت تحدثه . وكان الكلام يسابق بعضه بعضاً متقطع النبرات احياناً ، وكانت تلهث تارة وتتنهد اخرى وتارة تتوقف لتلتفت الى البـاب خشية ان يسمعها احد .

— اسمع يا كارلو . اصغ اليّ وصدقني . صدقني انا التي اكلمك من صميم قلبي ، اني احبك اكثر ممـا كنت احبك فيما مضى . واتزوجك الآن بملء خاطري وارادتي وانت . . كما انت وكم اتمنى الموت لنفسي في هذه اللحظة اذا انا اكلمك بغير ما اشعر به . اما اذا كنت انت الذي . . اسمع يا كارلو لا تبك على هـذا الشكل . . اقول اذا كنت انت الذي لاتريدني فاني اتيتك الآن لاستعطفك كي تقبلني ولاقول لك باني بدونك لن يطيب لي عيش ولا حياة ، فاذا اجبت توسلاتي بالرفض فأني سوف امرض مرضاً لا شفاء له حسرة والماً . هيه الآن ودع اليأس عنك . ولو قدر، لاسمح الله ، بانك ما رجعت من الحرب فهل تصدق بانني لن اتزوج رجلاً آخر . اي وربي حتى ولو كان ملك الملوك . تأمل . واذا كنت تعلم باني كنت احبك قبل ان فارقتنا فالآن (وهنا غطت وجهها براحتيها وانفجرت ببكاء حار .) اجثو على ركبتي امامك .

هكذا قالت وهكذا فعلت .

اما هو فقد كاد لا يصدق ما يسمع ويرى . لقد تهوش عليه الامر واضطربت افكاره وتبلبل لسانه وارتجفت شفتاه . فلم يعد يستطيع ان يفوه ولو بكلمة مما كان يجول في خاطره . لقد عقد الفرح لسانه وجنانه ، كان يتململ في مكانه ولا يقوى على النهوض والكلام . كان يريد ان يقول لها كلمة واحدة وقد انطبعت على اسارير وجهه المنبسطة وظهر معناهـا واضحاً جلياً . ومع ذلك فقد اجتهد بان يلفظها ولكن انفاسه كانت متقطعة فحصر نفسه ما استطاع حتى خرجت منه الكلمة كالصاعقة تشع شعاعاً خاطفاً :

— آه . عفوك . شكراً لك . شكراً لك . شكراً .

وامسكها من ذراعيها واراد ان ينهضها .

— لا ! لا ! — قالت له بلهجة الحازم الآمر وبنغمة يشوبها كل ما تملكه من الحنو العذري الانوثي .

— دعني هكذا اريد ان يراني الجميع جاثية على قدميك — ثم مسحت عينيها واردفت قائلة :

— لن يفارق واحدنا الآخر . لن اذهب الى اعمال الحقل ، سأبقى بقربك نهاراً وليلاً : لن أدعك ولو لحظة وحدك . سأعمل في البيت وانا جالسة بجانبك كما افعل الآن . . رباه ما بك يا كارلو ؟

الفراشة

عن الشاعر الفرنسي لامرتين

☆

وُلدت مع العبق المرفرف فوق ازهـار الربيع
وقضت مع الورد الملوّن قبـل مُغـيـبه المزيع
تمضي على خفق النسيم الرخو في الجو الوسيع...
فتذر من ذهب الجناح الطفل في الافق النجيع
وتنام فوق الزهر ترشف مـا يشاء فم الولوع
سكرى على دفق الشذا وتراقص النور البديع!
واهـاً لعمر فراشة الحقـل المخضّل بالدموع
هي كالرغائب!.. لا تزالُ تضج في قفص الضلوع
وتروح تطلب كل ما في الارض... تهزأ بالهجوع؟
فيسوّدُ القدر الرجـاء بظلمة الفشل المريـع
لتعود تنشـد في السماء لذاذة العيش الوضيع!

رجاء!

عن الشاعر البلجيكي فارهارن

☆

واذا مت فاغمضي لي جفوني ببنانٍ عبيرها يحييني
والثميها لدى الفراق طويلًا فهي ترعاك من وراء المنون!
وهي في النظرة الاخيرة اعطتك هواها مضمّخا بالحنين!
تحت ضوء المصباح يشهقُ ليلًا فوق نعشي بلهفة المحزون
اذر في الدمع لؤلؤاً من جفونٍ اذبلتها مبرّحات الشجون
كي تظلي في الخلد آخر طيفٍ ابصرته على التراب عيوني!
آه لو يعطف القضاء فنغفو كملاكين في السرير الضنين!
فاحس الشفاه قرب شفاهي واحسّ الجبين قرب جبيني
قبل ان يُطبقَ الضريح وتطفو فوق ثغري سحابة من سكون!

ترجمة: فؤاد الحشن

لماذا تبكي بهذا الشكل ؟ الا قلت لي ما بك ؟.

كان صوته يرتجف ويشوبه الخوف: —وانا..

— وانت. وما تقصد بسؤالك هذا. قل لي كل ما يدور بخلدك يا كارلو.

— وانا.. وانا كيف استطيع ان اشتغل وما هي الوسيلة لكي افعل ذلك ؟ والقى برأسه بين يديه يهزه عنيفاً يائساً.

— كارلو حبيبي ما هذا الكلام. ألست اكفيك مؤونة العمل السنا كلنا هنا نعمل لراحتك. اني صرت خياطة ماهرة. ولا اقول هذا امامك مفتخرة.. كلا كلا. وتلك السيدة التي تسكن في تلك الدار الجميلة ذات الجنينة الغناء قد عرضت عليّ مراراً عملًا ارتزق منه وكنت دائماً ارفض. اما الآن... وهي متى عرفت برجوعك، وسآتي باعمال الخياطة الى البيت واعمل هنا بقربك بينما انت تقص علي ما رأيت من بلدان وبراري ووديان وصحارى واين ضربتم الخيام وكيف كنت تنام وهل كنت تذكرني كثيراً وماذا كنت تعمل طيلة يومك وهل اذا كان معك زملاء من القرية وعن ماذا كنتم تتحدثون فيما بينكم..

ودامت هكذا برهة على ثرثرتها هذه الحلوة وما اعذبها وما اشبهها بالبلبل الصداح باكراً جداً والذي يرتفع صوته بارتفاع النهار وتتدفق انغامه في حنجرة صافية عذبة مرنانة هي السحر الخالص والنشوة الكبرى.

هكذا كانت عطفاء فقد تورد خداها من كثرة ما تكلمت وكانت الهداة تشع من بريق عينيها والكلام يسابق بعضه البعض وهو يخرج من بين شفتيها حاراً دافئاً منعشاً تحيط به هـالة من الابتسامة الملائكية. كان في جثوها امام الجندي وعبثها بازرار معطفه واتكاء رأسها على صدره نعومة وتواضع وانوثة مما جعل الفتى يصغي اليها مشدوهاً وكأنه نسي عاهته وكاد يغمض عينيه ليستسلم الى هذا الحلم واي حلم. وفتش على كلمة تعبر عما كان يختلج به صدره من الشكران فعثر عليها وقالها وما كانت فتاتنا لتطمع باكثر من ذلك:

— عطفاء لقد كدت ان تنسيني محنتي!

— ولن ادعك تذكرها أو تتذكرها، صاحت من اعماق قلبها وانتصبت واقفة.

وكان عناق وكان بكاء.

مصطفى آل عبال

انطوان دي بورغوس اومس

قرابة أسبانية لبنانية

بقلم اميل شوب - كوخ

بقلم الجبلي

ترجمة نبيه صفر

☆

تدفع بنا آثار بورغوس — اومس الفنية، باتقانها ودقة ترتيبها وحكمتها ورزانتها، الى ان نحيي فيه مباشرة فناناً كبيراً. ان اومس هو مصور نوراني وهو اعلم من اي امرىء آخر بما يستطيع ان يفيده من النور وأبرع من استلّ من اضالع الضياء اشد الاشياء فتوناً بدون ان يلجأ الى عنف او مفاجأة.

يرسم اومس مناظره الطبيعية وفقاً للقاعدة الكلاسيكية ويخططها بلباقة ويلونها تلويناً ملطفاً يزيد في سطوعها وهذا ما يدعو الى الدهش عند مصور مدينة « معلقه » الدافئة، موطن الالوان العنيفة والزرقة الخالصة والحمرة القرمزية والتورد وكل ما تحويه ملاوين الفنان الخلاق، وهو يحصر مناظره الطبيعية ضمن خطوط متزنة، متقنة، يوزع فيها سلفاً قيم الانوار والالوان التي تنتظرها لوحته، ويضع تصاميمه بدقة نادرة كمصور تهمه متانة عمله ويعرف كيف يبلغ هذه المتانة بالرغم من خفة ريشته. تشهد له بذلك لوحته « ميناء معلقه » حيث البساطة الكلية ومعرفة توزيع الالوان والانوار والظلال تظهر غرابتها. لا شيء اجمالي عند اومس فكل شجرة وكل زورق وكل منطقة من الماء او السماء وكل بيت وحجر هي جميعاً قيمة من نور او ظل او لون وعنصر تركيب في اللوحة. اما « شارع سانت — جاك في معلقه » فانه يُظهر مميزات فناننا فيما يختص بالخطوط والمدى: فالشارع مسقوف يرسمه الفنان من اعالي السطوح غير ان هذا السقف له فائدته اذ انه يتيح لاومس ان يرسم في مستوى لوحته الاقصى مشهداً من الاشجار والابنية البيضاء والسماء الفسيحة ينجلي تحت فيض من النور ويهيمن على كل اللوحة حتى يبدو شارع سانت — جاك كأنه مشاد في هوة عميقة. وتشهد له بذات البراعة لوحته الدقيقة « الريديدورس معلقه » حيث يتدفق النور من الجهة القصوى ويتوزع على كل اللوحة الا على مجموعة من الشجر والنبات قائمة في الزاوية العليا اليسارية فيدور النور حول اقدام الشجر ويفيض على المستوى الثاني فيضانه على المستوى الاول المؤلفين من تلال تغمرها اشعة الشمس وينخفض خطها الخلفي كي يتيح للفنان ان يرسم البحر. ان البلوغ الى مثل هذه النتيجة يقتضيه تمكناً عميقاً من الصناعة وبراعة تامة في الايحاء. وتتميز هذه اللوحة بكثير من النحافة والوضوح الشفاف والجد الممزوج بالغرابة وهو طابع الالهام الشعري والعبقرية الخلاقة. لقد فتن « جبل طارق معلقه » اومس واتاح له ان يصور تصويراً اجمالياً تلالاً فخمة تنحدر نحو البحر من اعلى اللوحة ومن اليسار الى اليمين وتنتشر على سفوحها المنازل ويخلق النتوء فيها خلقاً وافياً تتلاعب فيه الانوار والظلال. ويخيل الينا ان اومس قد وقف جهده على تصوير القيم متوخياً ايحاء فكرتها وعاطفتها اكثر من

« ميناء معلقه » المعروضة في متحف الفنون الجميلة بمدينة « معلقه »

اظهار مادتهـا ، تفسر لنا ذلك الخفة القصوى في صناعته اذ يظل ، حتى في تصويره الاجمالي ، مصوراً نورانياً . وتنطبق هذه الملاحظة على لوحته الغريبة « اثر مورو رونـدا » ففي المستوى الاول – وهو مستوى قاتم – يتعالى حتى السماء ، كقوس نصر ، رتاج من حجر اسود ، بارزاً من كتلة حجارة سوداء ، ومشكلاً مستوى اللوحة الاول بكامله ، وفي العمق يمتد منظر طبيعي لمنازل بيضاء ، متسلقاً رابية ترتدي لوناً رمادياً فاتحاً . ان لوحة كهذه تبدو وهماً ، عنيفة المتضادات . لا يطالب اومس من النور ان يبهر بـل يتوخى به تلطيف التأثير والتضاد مع الاحتفاظ بخفة وريشة امينة من نفسها . لم نشهد رسوماً لاومس بل نتخيلها ممتازة فالصفـات التي تحبب الينا تصوير اومس لا تستقر في الرسم بل تتجسم في التصوير بواسطة الخطوط وهذا التمييز هو الذي يثير اعجاب الناقد . من

رنكون دى لاكازبا

المواقف الفنية ما هو اريستوقراطي ، لطيف ، منظم ، محتم الاغواء . يستطيع اومس ، لوثوقه من وجود هذه الصفة فيه ، ان يستخدم جميع الالوان وجميع الخطوط ، المستقيمة منها والمستديرة ، وان يعمد الى تصوير المشاهد الاكثر جرأة وهو واثق من نجاحه لان النجاح لا تحققه حمى الافراط في المضادات العنيفة بل الاقتصاد في هذه المضادات مع الاحتفاظ بنوع من المراقبة الذاتية . ان هذه المراقبة هي جد نادرة وعلى الناقد ان يحييها اينما وجدها . كان سيزان يقول : « ان ينبوع الفن هو حب الطبيعة » واليوم يقدم لنا اومس برهاناً جديداً على صحة هذا القول .

قرابة اسبانية - لبنانية

وقف صديقنا البحاثة الاستاذ « الجبلي » على المقال المثبت عن فن « بورغوس – اومس » وهو قيد الطبع فشاء التعليق عليه بعقد مشابهة او ما اسماه « قرابة اسبانية – لبنانية » زيادة في الفـائدة ، واظهاراً لما في ازدياد الروابط والملامح الفكرية والروحية من اثر حقيقي في توجيه العالم وجهته الانسانية الموحدة .



انطونيو دي بورغوس اومس

•

كل ما يحاوله السياسيون لتقريب الشعوب بعضها من بعض يظل بـلا جدوى اذا لم يسـعَ الفنانون والشعراء والفلاسفة الى ان يتفاهموا ويتحابوا الى ابعد من حدودهم القومية والشخصية ، فهؤلاء وحدهم هم الذين يستطيعون ان يزيلوا الحواجز التي تفرق بين الامم وان يجعلوا كلاً منها يفهم لغة الاخرى ويبادلها شعورها لاعداد الاتفاق التام الذي يستطيع ان يضم العائلة البشرية . ان غاندي ، الذي لا يمت الى السياسة بصلة كما يفهمها السياسيون والذي هو اكثر من شاعر وراء وصوفي ، قد عمل في بضع سنين على تقريبنا من الهند اكثر مما عمله تعاقب الديبلوماسيين ورجال الدولة الذين اوفدتهم انكلترا خلال الاجيال العديدة من حكمها ، وقد أنار لنا دانتي وميكيلانج وغوته وبتهوفن وتولستوي وبافلوفا وابسن وسيباليـوس ، باشعـاع مماثـل ، طريق النفس الايطالية والالمانية والروسية والسكندينافية اكثر مما أنارها جميع سفراء هذه الدول ووزرائها المفوضين .

صورة الروائي الشهير دون غوتر الس انايا بريشة اومس



لذلك ترانا نفسح بفخر وسرور اعمدة هذه المجلة لجميع رسائل الفن الخارجي التي تردنا ونحاول ، بدون ان نتنازل عن شخصيتنا بل بالاحرى كي نزيدها غنى ، ان نصلها بتيارات الشعور الكوني وهكذا ،

بعد ان نشرنا سلسلة مقالات عن الفنون ، اوردنا هنا درساً شيقاً لصديقنا الكبير المعلم اميل شوب - كوخ الجنيفي عن المصور الاسباني الشهير انطوان دي بورغوس - اومس .

لا شك في انه لم يفت قراءنا ، بعد ان اعجبوا بالصور التي نقلناها اليهم دون شك ، ان يلمسوا القرابة الروحية التي تربط المعلم الاندلسي بمعظم فناني لبنان . الا يذكرنا ذلك الوجه النبيل الذي صوره بورغوس - اومس للروائي الاسباني الاشهر ، غونزالس ارايا ، بالنفسية الراسخة ، البليغة ، المتجلية في الصور الكلاسيكية التي اتحفنا بها داود قرم ؟ الا يكون بين « ميناء معلقه » التي ألهمت بورغوس - اومس تشابه ساطع يتفق بالمميزات وبين « ميناء بيروت » التي الهمت مصطفى فروخ .

وها هي صور اخرى من ريشة بورغوس - اومس نسارع الى نقلها لما تقدمه لنا من براهين جديدة على القرابة ذات الطابع الخاص التي

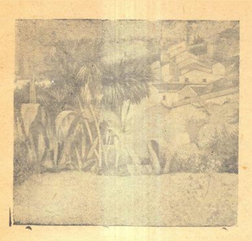


لادرناس دل جبرلفارو

●

تصل بين البلدين . الا تشبه « لاكوراشا » بصبارها المتهدل امام احدى القرى الرملية بعضاً من الرسوم الفاتنة التي تمقتها ريشة عمر الانسي ؟ أليست « رنكون دي لاكازبا » الاخت الحميمة لتلك الانوار الداخلية التي رآها صليبا الدويهي خلف احد الارتجة القروية . الا توحي الينا « امبارادو » بعض المنــاظر الطبيعية التجميلية لجورج - بول خوري ؟ الا ترينا اخيراً « لادرناس دل جبرالفارو » مظهراً آخاذاً من شاعرية قيصر الجميل المختلجة مع كل ورقة من اوراق اشجاره ، وبيبي زغبي التي تتألم وتشدو مع كل زهرة من ازهار باقاتها ؟ الا نجد ايضاً شبهاً شديداً بين المفاتن الغابية التي تجلوها لنا ريشة ماري حداد وبلانش عمون وبين معظم مناظر بورغوس - اومس الطبيعية ؟

تقع اسبانيا تجاه لبنان في الطرف المقابل من شاطىء البحر الابيض المتوسط المشترك . لسنا بحاجة الى استعادة ذكرى عهود التوسع



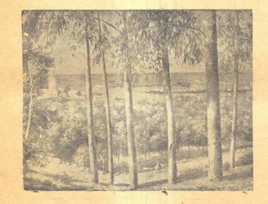
الامبارادو

الفينيقي على شواطىء ترشيش التي خلدها حزقيال النبي ، ولا تاريخ الفتح العربي الذي ترك في الاندلس خاصة آثاراً مجيدة تدل على تعاون البلدين ، لسنا بحاجة الى شيء من ذلك لكي نحن الى تلك الروابط التي يؤسفنا ان تفصل بين وطنينا كل هذه الاجيال والاميال . الكن روائع فنانينا تلغي حواجز الزمن والمدى بيننا لكي تضمنا في حضن شعور واحد لخدمة حضارة واحدة . لذلك لن نترك لاهل السياسة ان يهدموا جسور المحبة التي تشيدها الفنون والآداب بين شعبينا والتي بدونها ليس من سلام ولا ازدهار يرجى ، وليس من عالم فكري يكون ممكن التحقيق .

اذا صح ان لبنان يحوي عالماً كاملاً فلا ينبغي لنا مع ذلك ان نرضى بانفصالنا عن العالم .

ترجمة : نعيم صفر

لاكوراشا



عن روبرت بروك

ترجمة مرتضى شرارة

« ولد الشاعر الانكليزي « Rupert Brooke » سنة ١٨٨٧ ، وطبع اول مجموعة من شعره سنة ١٩١١ ، ولم يسبقه شاعر في عصره الى مثلها روعة وخيالاً . التحق بالخدمة العسكرية بعد اعلان الحرب العالمية الاولى مباشرة ، ومات في مستشفى سفينة فرنسية في جزيرة سكيروس Skyros قرب اليونان في ٢٣ ايلول سنة ١٩١٥ بمرض التسمم الدموي « Septicæmia » وفي سنة ١٩٣١ أقيم للشاعر تمثال نحاسي كبير يشرف على بحر ايجه .»

●

النداء . . .

الرعود تدوي في الاعماق ،
خارجة من ظلمة الرقاد ،
والاحلام الثقيلة في الابدية
وها أنذا قد جئت . . لانك ناديتني !

***

لقد حطمت القضبان في سجن الليل
وتحديت لعنة الظلام القديمة
واندفعت كاللهيب بين جموع
الكواكب المذعورة
فجأة على الكون !

***

وتحطم السكون الابدي
واستحالت الجحيم فردوساً
تحت اقدامي العابرة
فما عساني احمل اليك من هدية
لتدل على اننا تلاقينا أخيراً ؟

***

سأشتت النجوم وانظمها من جديد !
وابعثر السماوات بأغنية !
وسوف ابقى — الى الابد —
على عهدي القديم
لان حبي لك . . عميق . . عميق ،

***

ستسخر شفتاك بكل قديم ورزين
وستملأ ضحكتك العالم باللهيب
وسأكتب اسمك بحروف من نار
على رقعة السماء الباردة المنكمشة !

***

الى ان تتقرقع السماء
وتموت الجحيم في نارها المجنونة الصاخبة
ويهوي الظلام برعود ساخرة
على اماني الرجال واحلامهم
وحينذاك ، وفي تلك الآماد الخاوية
سوف يرتعد الموت فرقاً
— وهو يسترق الخطى —
عندما يلمح وجهينا
خلال اللانهاية المظلمة !
وهكذا سوف تدركنا النهاية الحالكة
— مكللين بالحب المطاق —
شخصاً واحداً . . وروحاً واحدة
وحيدين فوق ظلام الليل
فوق رفات الآلهة الهالكين — وحيدين !

فافيا FAFIA

ان النجوم التي تبدو لامعة متقاربة ،
يرقبها العاشقون طوال الليل ،
تسبح في الفراغ . .
لتفصل بينها مئات الاميال والسنين
وذلك الكوكب الفضي الذي يتوقد من بعيد
ربما كان قد خبا وعاد تراباً وظلاماً
قبل عشر من السنين او عشرين
قبل ان يشرق على وجه حبيبتي !

***

آه . في عالمنا الارضي ، بين زحام البشر
كثيراً ما يتنادى قلبان
استحال واحد منهما الى تراب منذ سنين
قبل ان يسمع الآخر نداءه
والقلب بعيد عن القلب — فافيا
بعد الكوكب عن الكوكب !

بغداد — مرتضى شرارة

مدى

●

املها وجراح
والامد يسترق منها مدى
والزمان على بابها جاثم
يستروي
والاكوان على افنائها
انتظار . .
عشق وتنافر
وعلى جذوعها امواج الالم
جمود

النواءات .. جبـال ووديان
ومنها سروب العيون
هموم ..
فـارتواء الزمان
حثيث الآفاق
.. وكان اعاصير
تضرج السلام
والوغى لؤم ..
وهن ثوبهـا المديد
وانبثّت اوراقهـا الصفر
هباء ..
يراهـا الونى
هدم وبناء
تقلص الامـد خجلًا
ومر الزمان قهقهة ..
ونسيم حلو
صعد من قلبها المنحني
خيـوط خضر
الى المجهول
ولحن سما
دموع عمر
وفي الاغوار ذواب
لماذا التلون
لماذا الشقاء
هناك نور ، هناك ضياء

ثريا ملحس

من القبور

الى كوكب الحرية «الثريا»

•

سأصعد يوماً الى امنيتي ..
الى ما وراء الغيوم .. عـالياً
الى مـا وراء الاثير .. بعيداً
سأصعد حيث أبعث بالنور ..
لا الى حيث استمـد النور ..
سأترك للارض ما للارض ..
والقي بنفسي على الصخور
في ساعة من ظلام الليـل ..
فليستيقظ الغارقون في احلامهم
عـلى اصوات السلاسل .. الداوية
الهـابطة بي الى الهاوية .
افرحي يا نفسي وتهللي . فليحتقرك الناس
وليأخذوا وزرهم .. يكبلوا به من يستسلم .
ولتفرح بلقاك
اشباح الليل ..
سأموت في سبيـل الحرية ..
سأعاني الابدية . وسيف الحق في يدي .
ما اشرف الموت في سبيل الحرية
وما احقر الحياة في ظل الاستسلام
الموت لاشرف ما اسعدني ..
سأرتقي على اجنحة سوداء .. خفية
اسمع حفيفها في سكينة الليل ..
سألتجيء الى ذاك الشبح الخفي
الكامن بين الاعاصير والعواصف ..
فلتفض بي العاصفة الى حيث شاءت
انهـا حرة
مـا اسعد من رافق تيارها في هبوبه
سأهجر عـالماً
يطاردونني فيه ليقتلوني ، ليزيلوا
بجسدي ظل الموت عن اجسادهم ..

***

اذا فرغ حبري ..
اجعل من الغيوم المتموجة في الفضاء
رمزاً لافكاري ..
فليحلها من استطاع .
ومن حل رموزي .. يسلك طريقي ويتبعني
الى اللقـاء ..
الى عـالم الحرية ..
الى الكوكب العالي
الى الخلود ..
سأرافق الضباب يوماً ..
وانزل تحت ستاره المتموج رويداً ، رويداً .
واضعاً لكم اسراري
في مبسم الزهور المـترنحة
على قمم الجبال ..

***

اني اسمـع انينكم
ممزوجاً بخرير السواقي
اني ارى حاكمكم .. وظلمـه
ذلك الصخرة التي تتساقط عليها دموعكم
انها صماء بكماء
لا تبالي باستغاثتكم .. وانينكم ..
اني ارى آمـالكم
تتصاعد مع دخان سراج
نوره ضئيل ..
فتغيب عني وجوهكم الصفراء ..
مساكين انتم ..
ايها المكبلون بسلاسل .. الطمع
الراسخون تحت رحمة حكام ظلام ..
هلموا .. هلموا .. حلوا رموزي
اسلكوا طريقي .. واتبعوني ..
الى الموت
الى الحرية
الى الكوكب العالي
الى الخلود ..
ادخلوا القبور طوعاً لارادة ربكم ..
ولاتهابوا الموت
ثم اهجروها في سكينة الليـل
افرحوا واضحكوا عالياً
ارسلوا الانغام الى اولئك المساكين
الراقدين في السجون
نادوهم وايقظوهم ..
انهم نيام ..
فليسلكـوا طريقكم ويتبعوكم

الى عـالم الحرية
الى الكوكب العالي
الى الخلود ..

***

اذا هزأ بوتكم الحكام
فهناك ... نسمات رطيبة .. تفرح بلقاكم
تقلكم على اكتافها وتصعد
بكم الى حيث انتظركم
الى اللقاء
الى عالم الحرية
الى الكوكب العالي
الى
الخلود ...

بعبدا – لبنان جوزف كنعان الحلو

احلام عروس

للشاعر الارمني سيامانتو

●

لم يمض على زفافها اسبوع حتى هجرها الى البلاد النائية طلباً للرزق . وطال غيابه وطالت احلامها .

... اعوام، واعوام !، وانا جالسة منفردة، امام نافذتي ، انظر الى طريق رجوعك ، انت المغترب ، يا فلذة من كبدي .

اريد ان اغني لك هنا – مرة اخرى – لواعج ، روحي وجسمي ، المتيتمة ...

آه! ألم تذكر شمس يوم سفرك؟، غزيرة كدموعي ، وحارة الانفاس كقبلاتي ! ، حلوة كوعودك ، سريعة كرجوعك الموعود! .

ألم تذكر شمس يوم سفرك وادعيتي؟، لما سكبت ماء جرتي فوق خيال حصانك .. لكي تتراجع البحار من امامك ، ويزهر اليبس تحت قدميك ...

اه! ان شمس يوم سفرك انقلبت الى ليلة مظلمة ...

ودموع انتظـاري ، تحت هطول السنين ، جرت من عينيّ غزيرة ، كالنجوم على خديّ ،

ويا لهفتاه ! ، قد احرقت وردتيهما .

كفاك ، ان شدة تعطشي اليك يدفعني الى هرملة شعري ، ومن شراب كأسك ، لا ازال ثملة ...

ومن غياب قامتك الزاهرة ، لا ازال في ثياب الحداد ...

وعلى اثر ذكراك ، انحسر كالرياح .

ومن قروح ركبتيّ ، على ابواب المعابد ، التفت نحو المغرب متضرعة :

آه ! ، لو يبست البحار ، ولو يومـاً واحداً ، والتقى العالمان ، ولو طرفة عين ، لاستغنيت عن الشمس والنعيم .

ارجع ، انني انتظرك على عتبة دارنا .

ويداي الخاليتان من يديك ، تجعلاني احلم بك وانا في حدادي .

ارجع ، ان حبي الحلو كالثمار ببستاننا يحفظ لك حلاوة قبلاته .

اواه ! ، ان جنبي ، لم تتعرفـا بعد الى الامومة

ولم اتمكن بعد بحلة زفافي ، ذات الخيوط الذهبية ، ان احلم رضيعاً ! ...

وامام مهد طفل ، لم اغن بعد ، لم اغن غناء الامهات ، السماوي ..

ارجع ، لم يبق لاشراقي من قمة .

وعندمـا يحل الليل المظلم ليبسط اكفانه ، تأخذ البوم ، في ساحة الدار ، تتناءب .

وعندما تنفد تنهداتي وتدمى دموعي ، وانا منفردة في احلام عرسي المهجور ، اراني كالجنية ، اغربل تراب قبري الداني ، على رأسي ...

حلب ترجمة : شانو شانوبانه

حياة

فوق امواج المحيط

للشاعر ابيس سرجنت

●

حياة فوق امواج المحيط المتعانقة
ومنزل على المياه المتلاطمة الصاخبة
حيث تهدر وتجول المياه المتفارقة
وتتراقص فوقها برشاقة الرياح المرحة
اما انا فحزين كنسر اسير مقيد
على شاطىء منعزل ممل
إلهي ! امنحني البحـار المشرقة
ورذاذ الماء الناعم
وصوت العاصفة المخيف !

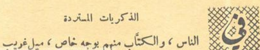
واخيراً اني اقف مرة اخرى
على ظهر سفينتي الخفيفة السريعة
وقد رفعت اشرعتها البيضاء
مودعة الشاطىء الكئيب
والزوبعة المترقبة تتبعها عن كثب
مخترقة خـلال الزبد المتلالىء .
كطير المحيط اطلق سراحه
سنجد مأوى لنا في مكان بعيد
على امواج المياه الشاسعة
لقد اختفت اليابسة عن انظارنا
واخذت الغيوم السوداء تتجمع في السماء
وسنتحدى بسفينتنا العاتية وبحارتنا الجبابرة
هجوم الزوابع وهبوب الاعاصير
وستكون انشودة قلوبنا
بينما تصفر الرياح المزمجرة
وتزأر العواصف القاصفة
بيت على البحر المتلاطم
وحياة على امواج المحيـط المتوائمة

ترجمة : يوسف بشارة عبود

آمن بالناس

بقلم راجي ظاهر

●



الذكريات المستردة

في الناس ، والكتّاب منهم بوجه خاص ، ميل غريب الى توديع السنة الماضية ، التي استردها الزمان من حياتهم ليعطيها الاجيـال التي لم تولد بعد ، بالرجوع اليهـا والتمسك باذيالها رغبة في استبقائها قليلاً قبل الزوال . ولكنهم لا يلبثون ان يدركوا انها من حيث دروا وما دروا قد افلتت من ايديهم واخذت معها قسماً من احلامهم وآمانيهم . وعندهـا يستجمعون قطرات السنة المنصرمة قطرة فقطرة ويؤلفون منها نهراً ثم يصنعون لانفسهم قارباً مسحوراً صغيراً يبنونه من الرؤى والخيال المجنح . ثم يركبون فيه يجولون ويهيمون على صحيفة مياه هـذا النهر الفاتن .

يجولون ويهيمون ثم يرجعون : منهم من يحصر العالم كله في ذاته فلا يحصل من جولانه وهيمانه في ماضيه الا على ذكرى تبهج وتفرح وما هي سوى نتاج خياله المعطر . او عبرة تحزن وترعج وما هي سوى نتاج الوهم المخدر . ومنهم وهم قلائل يعرفون مكانهم من الكون فهؤلاء يرجعون من تجوالهم بحكمة جديدة توسع آفاقهم وتنير سبلهم في الحياة الدنيا . حكمة تجعلهم ينظرون الى بنـات الزمان ، السنين ، كأنها قطرات من نهر الحياة الذي يخرج مـن بحر الروح الكبرى الخالدة ليعود اليها . وانه لنهر « كل قطرة فيه انما هي آخر القطرات التي سبقتها واول القطرات التي ستأتي بعدها » ولكنها كلها ، تؤلف وحدة تامة . فأجمل القطرات ما تقع على قفر فتحييه ، اونبت فتنميه ، واجمل حياة الانسان ما ينفق منها لاجل خير الانسان لاسعاده وتجميل دنياه وكشف النقاب عن اسرار الوجود التي يقف العقلاء حيالها حيارى حزانى .

في القارب المسحور

لقد صنعت لي اليوم ، يا اخي القارىء ، قارباً مسحوراً وركبت فيه واخذت انظر في مياه نهر سنتي الماضية : في ايامها . واتأمل نفسي تتقاذفني الامواج وتلقي بي على صخور الحياة : هنا وهناك . هوذا يوم اراني فيه مكداً مجداً لرفع تمثال ، ظننته ، لجهلي يمثل زعامة واعية تحيي امجاد امتي . حتى اذا حصحص الزمـان وجدت تمثالي : بلا رأس !

. . ومررت بي الايام تباعاً دراكاً تواكبها رسوم الحوادث التي تركت في ذاكرتي اثراً وهي مرسومة بمختلف الاشكال والالوان . فتارة تمثلني اعتسف الارض في ظلام مدلهم . وطوراً سائراً حبوراً كأنني ارى بصيصاً من بارق امل . كل رسوم السنة الماضية مرت وولت الا رسماً واحداً بقي يلازمني وهو رسم زائر غريب زارني مرة على غير موعد في اواخر السنة المنصرمة والقى علي دون ان اسأله عظة تركت في نفسي احمق اثر واجمل ذكرى .

العظة

اذكر انني كنت في غرفتي . وكان الوقت ، اذا كان لا بد لي من تحديده ، عند الساعة الثانية صبـاحاً . وكنت قد قضيت معظم ليلتي اكتب مقالاً اركب في كل كلمة منه رأس حربة واسقيها بالحقد والنقمة على الناس والدهر . وكانت افكاري اسود من ليلتي . فلقد زعمت ، وقتئذ ، ان النـاس اغلبيتهم

الساحقة على الاقل، مغفلون تغفيلاً مطبقاً فلو لم يكونوا كذلك لفهموني ومقصدي النبيل في الحياة. وان الدهر احمق من الطراز الممتاز لا يقدر قيمة خياره حق قدرهم. فتراه يقيم الحواجز والعراقيل امام الحكماء والعقلاء ويزيلها من امام الجهلاء والاغبياء. واندفعت اجري وراء هذه الافكار السوداء حتى احسست برياح الشتاء في عظمي وآمنت بانه خير لي ان اعيد الى صاحب الارواح نسمته التي استودعني اياها وانا شاكر معتذر: فاني قد كرهت العيش في «وادي العقوق والشقاء» كما يصف عالمنا بعض رجال الدين، وان كانت كلمة «عقوق» من عندياتي.

وبينما انا في هذه الحال اذا بباب غرفتي يطرق ويدخل حضرة الزائر الكريم الذي ذكرته. ولم تكن عيناي قد بصرتا به سابقاً وعلى الرغم من ذلك فقد خاطبني مخاطبة الصديق الحميم الواقف على حقيقة سري وامري وقال لي:

«سمعتك تشكو من الناس ومن دهرك فشأنك في ذلك شأن ابناء جنسك، فاسمح لي ان امحضك النصح

«ان الناس، يا صاحبي، لا يريدون لك شراً ولا ضراً. وهم لا يقضون ايامهم يفكرون في اهلاكك والحؤول دون نجاحك وفلاحك كما تظن. ان لهم من مشاغلهم وشئونهم ما يكفيهم.

«والناس، يا صاحبي، يريدون مساعدتك متى عرفت ذاتك اليهم واظهرت لهم انك واحد منهم ترغب في ان تمثل معهم دورك في الحياة بكل ما في هذا الدور من المآسي والسخافات والمتاعب. وصدقني فيما انا قائل لك. ان قلوب الناس حتى النيويوركيين منهم، وهؤلاء من غير شك في الدرك الاسفل بين البشر، ليست قطعاً من صخور الصوان التي بنوا منازلهم عليها. بل قلوب فيها جميع متناقضات الحياة فيها الحب والبغضاء. الاخاء والعداء. انها حقول يجني الانسان منها ما يزرعه. فكن انت، يا صاحبي، من زراع الحب والاخاء والرحمة في قلوب الناس!.»

***

ومضى فقال: «ليس الناس خادعاً او مخدوعاً. وانك تأبى ان تكون احد الاثنين كما تقول في نفسك. بل هم مزيج منهما وفي الغالب دون ان يعلموا او يشعروا. فأود ان تحبهم على الرغم من ضعفهم ومكرهم وخبثهم.

هذا هو محك الرجولة. هذا هو الايمان الحقيقي بالله. وان تسعى الى خيرهم وهم يطعمونك اللقمة مغموسة بالالم والشقاء. ولا تقل، يا صاحبي، ان يسوع الناصري جاءهم قديماً يسعى الى خيرهم فصلبوه. وانك انت لا ترغب في الموت – صلباً! ان الموت صلباً لا يرغب فيه احد حتى الذين لا يموتون – كيسوع.

«على انني اود ان الفت نظرك الى امر اراه خافياً عليك وهو انه اذا كان الناس قد صلبوا يسوع فان الناس ايضاً قد رفعوه الى قمة الالوهية وخروا امامه سجداً.

«واذا كان الناس قد قتلوا وحرقوا كثيرين ممن حملوا اليهم مشاعل العلم والعرفان فان الناس ايضاً قد نصبوا لبعضهم التماثيل في المكان نفسه الذي حرقوهم فيه. واعترفوا لهم بالاسبقية في الحكمة والنبوغ وانصفوهم من اهل ازمنتهم الحمقى.

واستطرد قائلاً:

«والذي اراه، يا صاحبي، هو ان الناس ليسوا ملائكة ولا شياطين. ليسوا حملاناً وديعة ولا ذئاباً ضارية. انما هم كالطين الخزفي في يد الفنان. فان كان الفنان (واعني به طبعاً – الزعيم الروحي والسياسي) رجلاً عاقلاً حكيماً صنع منه التماثيل الجميلة التي ترفع بالنفوس الى الملأ الاعلى. وان كان جاهلاً شريراً صنع منه وحوشاً ضارية تفسد على الدنيا جمالها وبهاءها.

«فكن، يا صاحبي، من رسل الحكمة والعرفان. آمن بالناس. آمن بشعبك، فان ايمانك به جزء متمم لايمانك بالله. وحب الحياة. الحياة المولدة للثقافة الباقية. واياك والاصغاء الى الذين يزهدونك في الدنيا. انهم ينافقون في الحق ويتاجرون بالضلال. فاني ما رأيت احداً منهم الا حالباً لدنياه بكلتا يديه.

«ومهما يكن من شر الظلام الذي يضيق عليك انفاسك الآن. فانه من الخير لك وللناس ان تشعل شمعة صغيرة من ان تلعن الظلام كما يقول الصينيون.

«فاشعل شمعتك واحسن من هذا اجعل حياة شمعة تشتعل تنشر امام الناس الشعاع الذي يضيء لهم ظلمات الحياة.

«وسواء أنجمت سماؤك ام بقيت كما هو حالها الآن دكناء مكفهرة إبق مجاهداً لاحقاق القيم الخالدة التي وحدها تجعل للحياة قيمة ومعنى. ابق مجاهداً مؤمناً بعدالة ربك وبنفسك ورسالة امتك الى نهاية المطاف!».

***

هذا بعض ما قاله زائري الكريم ذكرته للقراء قبل ان تنسج عليه العناكب نسيج النسيان لعل فيه فائدة لمن كان مثلي.

نيويورك راجي ظاهر

من المساء الاخير

أعدك انني سأظل سائراً الى الامام دائماً ، الى فوق دائماً ، الى الاعماق دائماً ، ولن تعرف نفسي الموت ، بل دائماً ساقدم لك وجهاً يضيء بالنور والدموع .

●

حين كنت في احضانك كالمنبع بين الجبال ، لم اكن ادري انك تظللينني فما عرفت من قبل العراء . وذات يوم اقبلت غيوم أذنت لها ان تسيل حتى دفعتني عنك وحين رحت اتدفق في البراري والسهول ذكرت الاحضان التي ظللتني .

اننا نحن حين نتغرب ، ونضع مسافة بيننا وبين كل جميل نريد ان نتأمله ، وعندما نلحد نستمتع بما يختفي وراء غشاوة الايمان

واسألك يا الهي ان تهبني القـداسة حتى استطيع ان احصل عليك وانا قريب منك .

***

اغفر لي جرأتي ..

فحين خرجت ، هذا الفجر ، الى حديقتي ابحث عن وردة اضمها على هيكلك كعادتي كل صباح ، وجدت الجفاف قد اذوى كل الورود ، والعاصفة التي تهب منذ اعماق الليل لا تزال تذري الاوراق الشاحبة الصفراء . فجئتك الآن الهي ويداي فارغتان .

واغفر لي جرأتي ..

حين اسألك ان تجعل قلبي التعب وردة لا يصيبها الجفاف ، تزيدها العواصف جمالاً وازدهاراً ، ارفعها اليك كلما خفقت نفسي خفقة وهي فرحة بك في انتصار او لائجة اليك في انكسار . وينتشر منها اريج عنيف حين اصلي امام هيكلك كل صباح وكل مساء .

***

انت قد لا تعرفني يا إلهي لكنني واثق من حبك لي .

فأنا جزء منتشر في ضباب الكل ،

وانا واثق من حبك الكل .

وانا لا استطيع ان اعرفك يا الهي ،

فهب لي حبك ،

وقلبي سيعبد المعلوم حين يبلغ الايمان .

انت تعلم اننا فانون ، فهب لي ان احبك حتى يحويني الخلود ،

وانت تعلم اننا ناقصون ، فهب لي ان احبك حتى يحويني الكمال .

وانت تعلم اننا محدودون ، فهب لقلبي يا الهي ان يهيم باللامحدود .

وقلبي سيعبد الممكن حين يبلغ الايمان .

***

انها يتيمة يا الهي فلا تتركها .

بلا دفء ، بلا رفيق ، بلا نور في الطريق .

وهي عابثة يا الهي فاغفر لها .

صياحها وقفزها في الهيكل الرهيب .

انها يتيمة يا الهي فامسح علي أناتها .. آلامها .. وكل دمعة في روحها .

وهي صغيرة يا الهي فاحتضنها في الافراح ... في الاحزان ، وفيما يلد لها الزمان .

انها يتيمة يا الهي فلتكن لها الاب والشقيق ، وفي الدجى الخاطر الرقيق .

وهي وحيدة يا الهي فلا تدعها بلا دفء ، بلا رفيق ، بلا نور في الطريق .

***

عندما اقبل الهزيع الرابع كنت قد اتممت صورتها ، متألقة كآمالها ، مشتعلة كحنينها ، ورقيقة كحنانها . وبعد ما انتظار للفجر ذهبت في لهفة اعدو نحو دارها ، وفي برودة السحر ايقظتها وأنا اطرق بابها ، فقامت وفتحت لي قليلاً تطلع الى هذا الغريب الذي سيزاحمها وحدتها .

وفي فرجة الباب رأيتها ملفعة في ثوبها الليلي ، فقدمت اليها اللوحة في فرح وانا اهمس : تلك صورتك يا سيدتي! فاختلجت شفتاها بابتسامة حزينة وهي تأخذها ، وتطلعت في انتظار وقلق وانا اراها تتأملها كأنما في دهشة ، بينما كان عطرها المختلط ببرودة السحر يغمرني مع أنها ما عرفتني .

ومن فرجة الباب اعطتني ما اعطيت ،

دفء المجد

بي دفء سار لدى قمم شمطاء ... ماتت على صقيع الدهور
اي نجوى ؟ غير ارتعاش دم الموت ؟ مهلاً لدى جليد العصور
يتملاه خاطر ، يا لوهم ... جانحاه الماضي وافق النشور
يتمطى الضياء ، في سخريات ... غرقت دونها جباه النسور
عدم ازرق النيوب ، وفح ... في سراج اعمى رقيق الضمير
انا وحدي هنا اجاجل في الصمت ذيولي بلاهة المقدور ،
كم سؤال يكاد يختنق ذعراً ؟ عن حدود تكسرت عن مصير
اسحبي شلوك الممزع يا ارض سأختار مطرحاً لمسيري
عربي يلهو برقص رهيب فوق دنيا اضحوكة من قبور
من هنا تحت موطئي ، تنفض الاجداث ارعاد مارد من سعير
واكرأ همس جنحه ألهيات ... دولاً نسجها حطام شرور
لعباً من لدائن ، يحطم الزاحف دنيا لو جابهت في العبور
ن تموتي يا وحدة العرب السمراء ما دمت رجة في شعوري

حمص ... علي محمد شلق

وعيناها المغرورقتان تهمسان : لقد اخطأت المكان ، ليست صورتي يا سيدي ! فرجعت اتعثر في خجل وانا اسمع تنهدات خلف بابها المردود . ورحت انشرد في الطرقات اتأمل في حيرة صورتها على ضوء السحر واثقاً اني لم اخطىء المكان .

حتى اذا ما انبثق الفجر رأيتني يا الهي اتأمل صورتي !

***

لنا جارة يحسبونها مجنونة ، ترملت يوم ولدت وحيدها فجعلت تسهر الليالي تحيك بابرتها كي تربيه ، حتى اصبح شاباً قوي العضل جميل الوجه . وكانت تفخر به قائلة : هذا خلاصة من نور عيني ودموع ليالي . ثم جعلت تبحث له في فرح قلق عن شريكة حسناء .

لكن حدث ذات يوم ان غرق الشاب في نهر قريتنا ، قلت لهم : لا تعزوها بل اسكبوا معها احزانكم ودموعكم . لكننا شاهدناها تصيح : لن يموت بعد هذا ، لن يموت بعد هذا ثم راحت تضحك وهي لا تزال تحيك بابرتها ، لهذا يحسب الناس ان جارتنا مجنونة .

***

كنت في طريقي الى الصمت الكبير ، وانا أرسل انغام نايي كي يلقى بها اصدقائي اهوال الطريق .

وحين مررت بها حسبت اصوات نايي ازعجتها ، فأخفضتها وهرولت .

ولما أردت ان اعود اخبروني انها سبقتنا في الطريق .

***

في كل شتاء يحدث ان ينهمر المطر في قريتنا ذات ليلة فيرتجف الناس .

وفي الصباح تهدأ العاصفة لكن يملأ الوحل الطرقات . ثم ترسل الشمس شعاعها يجفف آثار العاصفة . وفي الظهيرة يعود الناس يمشون في الطرقات .

***

الليلة أعددت وليمتي الكبرى .

فاذا مررت امام داري في المساء لن اناديك كما تعودت في طفولتي .

بل اذا كنت في جوع وراقتك رائحة الطعام ، فسأرحب بك وانت تدخلين .

اما اذا كانت ثمة مباهج في الطريق تشغلك عن طعامي فسأدعك تمرين .

متمتعاً بوحدتي وانا ألتهم وليمتي الكبرى .

***

تقدم ولتأخذ ، والا عدت فارغاً ؛ فلن يتصدق احد عليك .

وحين تأخذ ستطلب المزيد ، والا فانك ستحس الجوع من جديد .

ولا تتصدق اذا ما سرى الدفء فيك ، لئلا يصدمونك حين يرفضون .

بل امسك نايك وانفخ فيه افراحك علهم يتشوقون .

فيتقدمون هم ايضاً ويأخذون .

القاهرة ... يوسف الشاروني

مجد الجنون

بقلم بديع تقي الدين

●

كاد مسعود بك يصبح اضحوكة قريته اللبنانية «عين اللوز» مسكين مسعود بك الى اي هوة سحيقة هوى بعد ذلك العز القديم! الا يدّعي انه كان بالامس من مقرّبي السلطان؟ الا يروي انه كان اذا مرّ في شوارع اسطمبول مرتدياً لباسه العسكري وقف الناس اجلالاً له وحياه الجنود على مسافة عشر خطوات ؟ .. مسكين مسعود بك لقد زلق به الدهر كما زلق بالسلطان وبمقربي السلطان فانزوى في عين اللوز .

بلى ! بقي له من عزه الغابر تلك القامة المديدة الجبارة وشارباه المعقوفان .. وقصره في اعلى القرية على ارفع قمة في ذلك الجوار ، قصره المشرف على البحر وعلى الوديان التي تفصل بين عين اللوز وجبال « نيحا » . بلى بقيت له على اهل القرية بقية من هيبة ورثها عن جده ملحم بك العاملي زعيم المنطقة وابرع فرسانها على الاطلاق ثم عن ابيه فارس بك الذي لم يفتأ اهالي عين اللوز وجوارها يذكرون حادثته التاريخية يوم صفع والي بيروت واستدعي الى اسطمبول ثم عاد منها معززاً مكرماً .

كل هذا لم ينسه اهالي عين اللوز ولو انهم نسوه لتكفل مسعود بك بتذكيرهم اياه . مسعود بك سجل تاريخي يعرف عن عائلات لبنان الاريسطوقراطية والبيوتات كما يسميها ما لا يعرفه احد غيره ويحفظ عدداً من النوادر والحوادث لو التفت اليها التاريخ لوجد فيها اثمن الكنوز . صحيح ان اكثر ما يرويه وليد مخيلته ، ولكن ما يضير المؤرخين — على حد تعبيره — لو زادوا على التاريخ ما يجمله جميلا جذاباً ..

لم يكن في عين اللوز من يجهل ان مسعود بك لم يغادر لبنان يوماً من الايام وان اطول سفرة قام بها في حياته سفرته الى عكار يوم قيل له ان احد الآغوات يقتني مهراً يساوي ملك الارض فقصده راغباً في المهر فلم يحصل عليه فعاد الى عين اللوز ماراً في بيروت مكتفياً بأن يشتري منها سرجاً وعناناً لاحد مهاريه . ولم يكن احد يجهل ان مسعود بك لم ير اسطمبول الا في خياله وفي الصورة المعلقة في قاعة الاستقبال في قصره ، فوق الباب ، بين رسم ابيه فارس بك متربعاً على دكة عالية وقد نظر في الرسام نظرة يقدح منها الشرر وبين رسمه هو نفسه وقد امتطى مهراً اشقر امسك عنانه بيسراه وشهر في يمناه سيفاً ولكن الحصان كأنه ينقض على عدو جبار .

لم يكن احد يجهل اذن ان قصص مسعود بك وليدة مخيلته الخصبة ولكنهم كانوا يستعيدونه اياها لما فيها من المتعة وجميل الرواية .. كانوا يجتمعون عنده في اكثر السهرات تدار عليهم القهوة ويتسامرون . ويبقى هو صامتاً يصغي الى احاديثهم حتى اذا وصلوا — ودائماً كانوا يتعمدون الوصول — الى ذكر الخيل او الى ذكر العهد العثماني صحت الحضور وتسلم مسعود بك الحديث لا ينقطع عنه الا متى غلب عليه النعاس . وتلك القصص كان يطرأ عليها في كل يوم تعديل جديد فتتحول مع الزمان وتتخذ اشكالاً متنوعة ، متناقضة في اغلب الاحيان! .. الا قصة واحدة كان يرويها دائماً بلا تحوير ، تفاصيلها واحدة في كل مرة والتواريخ نفسها والارقام ثابتة بجذافيرها لا يتغير فيها حرف واحد من يوم الى يوم . تلك كانت قصة معركة « شنه قلمة » حتى لقد كاد اهالي عين اللوز



يصدقونها ويؤمنون بها .

معركة شنه قلعه كان مسعود بك يتنحنح دائماً قبل ان يبدأ روايتها، ويدور على نفسه في مقعده نصف دورة وقد تربع كما تربع ابوه امام الرسام ، ويشرب من الابريق جرعة صغيرة ويمر قفا يده على شفتيه وشاربه ويقول « اي نعم افندم . . » و « اي نعم افندم » تلك تعني ان مسعود بك وصل الى الحادثة التي يعشق ذكرها ، تعني انه وصل الى موضوع حياته وانه لو لم يكن هناك شنه قلعه لما كان هناك مسعود بك . . . وتعني كذلك ان الحضور سينصرفون بعد انتهائه من قصته لان مسعود بك لا يستطيع ان يروي شيئاً بعد ان يروي شنه قلعه .

***

« – اي نعم افندم . . . كانت الحرب على اشدها بين الدولة العثمانية العلية والحكومة البلغارية . وكان لا بد للجيش العثماني القادم لنجدة اسطمبول المحاصرة من الاستيلاء على قلعة مرتفعة تشرف على سهل فسيح وتدعى شنه قلعه ، احتلتها فرقة من الجيش البلغاري واخذت تصب على كل من يقترب من السهل وابلاً من الرصاص وكنت يومئذ قائداً لكتيبة من الفرسان وعضواً في اركان حرب الجيش الزاحف الى نجدة اسطمبول . وفي احدى الجلسات التي عقدناها للمشورة اقترحت ان تقصف القلعة بالمدافع الثقيلة وتهاجمها كتيبة الفرسان وانا على رأسها . وبعد اخذ ورد وجدال ونقاش قبل اقتراحي بالاجماع وقررنا ان نقوم بالهجوم عند منتصف الليل .

« اي نعم افندم . . . بدأت مدفعيتنا في اول الليل تدك القلعة بشكل متواصل فتجيبها مدفعية العدو بلا انقطاع . وعند منتصف الليل صدرت اوامري بالهجوم فهجمنا . . . هجمنا لا نبالي بالرصاص المنصب علينا وكنت استحث الفرسان فيلبون ندائي حتى وصلنا الى ابواب القلعة وانطبقنا عليها . عندها خرست مدفعيتنا وخرست مدفعية العدو . ودخلنا القلعة من الفوهات التي فتحتها المدفعية في السور وتقدمت وحدة من كتيبتنا فاضرمت النار في مستودع الذخيرة والتحمنا نحن مع العدو بالسلاح الابيض . كانت ليلة من ليالي العمر ، النار مندلعة في ارجاء القلعة تلتهمها التهاماً ومستودع الذخيرة يتطاير في الجو فيسمع للانفجارات المتواصلة دوي رائع . وكنت تارة اقاتل وطوراً ادور على الفرسان اشجعهم وابعث فيهم روح الثقة حتى تصلبت نفوسهم وآمنوا بالنصر . وما ان بزغ الفجر حتى كان الظفر بجانبنا . قُتل من قُتل من الحامية واستسلم الباقون . »

كان يبلغ الحماس بمسعود بك هنا اعلى الذروات فينهض من مقعده ويدور في ارجاء القاعة كأنه في القلعة ينخي الفرسان ويقوم بحركات عصبية متعددة كأنه مشتبك في براز وينظر الى حيطان القاعة كأنه يرى من خلالها النار المندلعة من مستودع الذخيرة ثم يروق قليلاً قليلاً وتهدأ اعصابه وينهي قصته :

« – اي نعم افندم . . فتحنا لجيشنا طريق اسطمبول وفككنا عنها الحصار ودخلناها بين زغردة النساء وهتافات الرجال . وكانت اخبار المعركة قد سبقتنا فرأيت الناس يشيرون الي والى فرقتي ويتهامسون : هؤلاء منقذونا . وكم من امرأة انكبت على قدمي فقبلتهما في الركاب » .

كان يقف مسعود بك من قصته هنا وينام بعدها قرير العين .

ولكنه في احدى السهرات عندما انتهى من قصته وهمّ الزائرون بالانصراف استوقفهم على غير عادة وعاد يحدثهم عن يوم النصر ، عن يوم دخوله الى اسطمبول . راح يعظم ذلك اليوم ويفخم الملقى ثم فاجأهم بحدث هائل . اخبرهم انه سيدخل اسطمبول مرة ثانية على رأس فرقته دخول الظافرين وانه سيسمع من جديد زغردة النساء وهتافات الرجال ويمر تحت اقواس النصر بينما تلمع الاسهم النارية في الفضاء وتطلق المدافع ابتهاجاً باليوم التاريخي الكبير .

***

منذ ذلك اليوم ألف اهل عين الاوز ذكر يوم النصر المنتظر واخذ مسعود بك يعد العدة له . ينزل الى بيروت مرتين او ثلاثاً في الاسبوع ويعود بالبيارق المزركشة وبالاسهم النارية وصفائح البترول . وكان من شهر الى شهر يبيع قطعة مما بقي من املاكه او فرساً من اسطبله ويشتري ما تقع عينه عليه من ادوات الانارة والتزيين حتى حشيت بها اقبية القصر حشواً .

ومرت الايام في انتظار يوم النصر ولم يأت وثقلت على مسعود بك المصاريف ولم يبق من املاكه ما يقيه شر العوز فرهن قصره واستدان ثم اضطر اخيراً الى بيع قصره فباعه .

فكر مسعود بك كثيراً قبل ان يقدم على التخلي من آخر حلقة تربطه بابيه واجداده ، ذلك القصر الذي تحفظ كل زاوية من زواياه ذكرى من ذكريات آل العاملي . . . فكر كثيراً ولكنه اقدم على البيع .

***

كان مسعود بك يشرف على نقل ما لم يبعه من متاع القصر الى بيته الجديد في اسفل القرية والدمعة في عينيه والغصة في قلبه وكاد ينفجر باكياً وهم ينقلون صورة ابيه من قاعة الاستقبال في

القصر الى غرفة نومه البسيطة في البيت الجديد . ثم اخذ منديله ومسح عن الصورة نقطة سائلة لم يدر اهي نقطة عرق انصبت من جبين احد الحمالين ام دمعة سالت على خد ابيه . ونظر الى مهره « طيار » وهو سليل « الغبراء » فرس جده ملحم بك ومفخرته فاذا هو يرفض العلف ويحمحم غاضباً في اسطبله الجديد . والتفت الى سيف ابيه المعلق بجانب صورته في غرفة النوم مقابل السرير فرأى كأن حده فقد بريقه ولم يعد قاطعاً . وأوى مسعود بك الى فراشه في تلك الليلة وهو كسير النفس مسكين .

تقلب كثيراً في فراشه الجديد لا يستطيع النوم . وكلما اغمض عينيه لحظة استفاق مذعوراً على صورة مخيفة تتراءى لعينيه. وما هو ان غفا رأى فيما يرى النائم كأن صورة ابيه تتحرك في اطارها ثم تخرج منه وتتجسم واقفة امامه . ونظر مسعود بك الى ابيه فرأى معالم الخيبة على جبينه وأثر اليأس في نظراته وبقي الطيف مدة واقفاً امام السرير لا ينطق بكلمة ومسعود بك وجل مرتعب ، يتصبب العرق البارد على جميع انحاء جسده . ثم اخذ يرتجف ويفوه بكلمات غامضة متفككة حتى عاد الطيف ينكمش على نفسه ويدخل رويداً رويداً في الاطار .

وبقي ذلك الحلم يعاوده في كل يوم على غط واحد واذا به يرى في احدى الليالي طيف ابيه يقترب من السرير ويهزه هزاً عنيفاً ثم يمد يديه ويحمل النائم كالريشة على كفيه ويخرج به من البيت ويذهب فيلقيه على الارض وسط ساحة كبيرة . ثم رأى اطيافاً كثيرة تتجمع حواليه وتفرس بها فتبين منها الى جانب طيف ابيه طيف جده ملحم بك وقد اعتلى فرسه الغبراء فراحت تنهب الارض تحت فارسها وتقطع الكون ثم تعود بطرفة عين . رأى حواليه عشرات الاطياف وعلى وجوهها كل شيء من ملامح آل العاملي . واذا بهم كلهم يصيحون بصوت واحد : « انت خائن يا مسعود» . وتقدم منه طيف ضخم ، طيف عملاق وقال له : « اما عرفتني ؟ انا جد آل العاملي انا مؤسس كيانهم وباني كبريائهم ، واني لاخجل بك الم يكفك انك لم تتزوج وتحفظ نسل آل العاملي حتى جئت تبيع القصر ، آخر أثر من آثارهم ؟ انت خائن يا مسعود .» وتقدم منه طيف آخر وقال : « لقد بعت القصر ، وكل حجر فيه يحدّث الناس من امجادنا ، لقد خنت آل العاملي . انت خائن يا مسعود . » وتقدمت طيوف كثيرة وتكلمت وتقدم طيف ملحم بك وقد ترجّل من الغبراء ثم قال : « الم يردعك يا مسعود ان ترى مشتري القصر وهو ابن أحد خدام جدك يجلس حيث جلسنا ، وان ترى سيارته واقفة حيث همهمت خيولنا ؟ » . وصاح طيف من الطيوف : « لنبصق عليه ، هذا جزاء الخائن » ووضع مسعود بك يديه على عينيه يدفع عنهما تلك الرؤيا المرعبة ، واذا طيف ابيه فارس بك يتقدم منه وقد سالت على خده دمعة كتلك التي سالت على صورته يوم نقلوها من القصر وصاح بابنه : « قم الآن يا مسعود وامتطِ مهرك وتقلد بسيفك وهاجم القصر واطرد منه نزيله المغتصب ، قم يا مسعود ، ان آل العاملي باجمعهم ينظرون اليك الليلة ويضعون امجادهم بين يديك . . قم يا مسعود . . . قم يا مسعود » ورددت الطيوف بصوت واحد : « قم يا مسعود ، قم يا مسعود . . . » ودوت الاودية والجبال وكلها تصيح : « قم يا مسعود ، قم يا مسعود . . . » . . . وقام مسعود . . . قام من فراشه كأن محركاً جباراً يدفعه دفعاً . . . قام والنار تشتعل في احشائه والرؤى تتنافر امام عينيه وسلّ سيفه من جانب صورة ابيه ودسّ مسدسه في جيبه ثم نزل وأسرج مهره « طيار » وامتطاه وتوجه نحو القصر . . .

***

سمع اهالي عين اللوز وقع حوافر حصان يندفع طلوعاً في ذلك الليل وأطلّ بعضهم فشاهدوا فارساً يقتحم العتمة في الطريق المؤدية الى القصر . وتذكر مسعود بك يوم النصر فدخل الاقبية واطلق الرصاص على صفائح المحروقات فاذا النار تشب في تلك الارجاء واذا الانفجار يتلو الانفجار . وعاد مسعود بك الى مهاجمة القصر فاقتحمه كما اقتحم « شنه قلعه » من قبل ورأى حوله طيوف ابيه واجداده تنخيه فلكز الحصان ودخل الى قاعة الاستقبال لا يعبأ بالنيران المحيطة به . وصاح ساكنو القصر مذعورين وفروا من امامه كما فرّ البلغاريون فيما مضى امام فرسان كتيبته . وتعالى الصياح في الخارج من شباب القرية وهم يتنادون لاطفاء الحريق . فكانت صيحاتهم تصل الى اذني مسعود بك هتافات كتلك التي سمعها في اسطمبول يوم النصر وولولت نساء القرية من الرعب فسمع ولولاتها زغردات وصياحها دعاء له ولفرسانه . وحاول حصانه الفرار من النار فترجّل عنه وصار يهوي بسيفه ذات اليمين وذات اليسار حتى كلّت يداه ولحقت به النار . وعندما ادركه بعض فتيان القرية وانتشلوه على آخر رمق من الحياة كانت يمناه لا تزال مطبقة على قبضة السيف وعلى جبينه المتفحم لمحة من نور وفي عينيه بريق العزة والمجد ورأوه يبتسم ويجيل عينيه فيمن حوله قبل ان يغمضهما الى الابد ويتمتم : « الم اقل لكم ان يوم النصر سيعود ؟ . . . »

بديع تقي الدين

الروح العربية في الحضارة والفن

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

☆

انيح لي* في عام مضى ان ازور القاهرة ، وكنت اتحرق شوقاً الى رؤية الاهرام، اتخيل الروعة التي ستمتلكني حينما تقع عيني على اوابد كرت عليها العصور فلم تنل منها شيئاً ، وتمر بخاطري اقوال المؤرخين واساطير الرواة التي نسجت حول هذه القبور الخالدة ، فاترقب لنفسي برؤيتها متعة قل ان تجود بها الايام . فلما حصلت عندها راعني انها لم ترعني ، وان الاحاسيس التي كنت اترقبها لم تمتلكني . ورغم ما حاولته من تخيل مواكب الفراعنة التي سعت اليها، وجيوش الامم التي توالت عليها، واحداث الاجيال المتعاقبة التي تلاشت على احجارها ، فان الاهرام لم تبد لي غير اكوام جافية من الصخور ، مهندسة هندسة بسيطة لا متعة فيها ولا رواء .

وقد دعتني هذه الحادثة الى التفكير في ان التعلق بالآثار او الاوابد ميل دخيل على الذوق العربي ، وما جئت بهذا من حادثتي الفردية مع الاهرام ، فليس عبثاً ان تعج بلادنا بالاوابد امثال هيا كل تدمر وبعلبك والرصافة ثم لا تؤثر في اذواقنا الفنية الا قليلاً ، وليس عبثاً ان تكون المساجد القديمة والقلاع الحصينة بين ظهرانينا فلا نهتم بها الا بمقدار ما نصلي فيها او نقيم فيها ثكنات للجند ، وليس عبثاً ان تقفر متاحف الآثار من ناشئتنا ومثقفينا وهي في بلاد الغرب محجة ومستراد لهم . سبب كل هذا على ما اعتقد ان العامل المسيطر في الذوق العربي هو عامل الحياة والحيوية ، وهذا العامل هو الذي رسم حضارة العرب وكل ما اشتق منها من فنون بميسمه ، والاوابد بالمعنى الذي يفهمه الغربيون وبعض الشعوب الشرقية لا نصيب فيها للحيوية ولذلك فليس لها نصيب من الروح العربية . وقبل ان تعجز الاهرام عن استثارة مشاعري وانا فرد عربي عائش في القرن الرابع عشر الهجري عجزت في القرن الرابع ، منذ الف سنة عن استثارة المتنبي الذي اقام في مصر يصاحبها ويعاسيها حقبة من الزمن ولكنه لم يذكرها الا في بيت واحد حين قال :

اين الذي ، الهرمان من بنيانه   ما قومه ؟ ما يومه ؟ ما المصرع ؟

لقد حم المتنبي ليلة فحركت من شاعريته الحمى بما لم تحركه الاهرام في مجاثمها آلاف السنين . ذلك لان الحمى حركة وانتفاض اما الاهرام فجمود وسكون مجدبان ، ولم يكن الجمود من طبع العربي ، فقد كانت الحركة في طراز حياته لما كان بدوياً ، فلما استقر ظلت اساساً من اسس ذوقه . وليست كل حركة ، بل الحركة المجدية التي تعطي فائدة وتترك اثراً .

هذا هو التفسير الصحيح ، على ما اعتقد ، لخاصة من خصائص الحضارة العربية يعتبرها بعض الناس نقصاً فيها واعتبره انا من مزاياها العبقرية ، ذلك حين يرون ان العرب لم يخلفوا على الحجارة ما خلفته الامم الاخرى فراعنة ويونان ورومان من تماثيل وهيا كل . فاوابد الحضارة العربية لم تنحتها من حجارة او تسجلها بالصخور بل سجلتها بالاعمال الحية ، فان السيرة التي سارها العرب بعد انبعاثهم من جزيرة العرب ، سيرتهم في انفسهم وفي البلاد التي فتحوها والامم التي سادوها لتفوق كل آبدة خلفتها الامم المنقرضة والتي لا تزال حية . ولقد بعث احد عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر يستأذنه في ان يبني لمدينته سوراً يحصنها به فكتب اليه ان حصن مدينتك بالعدل . وذلك ضرب من الحصون بديع ، ولعلنا لولا كتاب عمر بن عبد العزيز ذاك نرى اليوم في تلك المدينة سوراً يزوره السائحون ويعجبون به ولكنه مبني على اسس من الظلم والجور قاساهما الرعية قبل الف وثلاثمائة سنة من الزمن مثل اللذين قاساهما بناة اهرام مصر والهياكل الرومانية ، العبيد الذين تحطمت مناكبهم تحت اثقال الصخور وتمزقت ظهورهم تحت سياط الجلادين .

اتهم ابن خلدون العرب بغاراتهم على الاوابد القائمة والمدن العامرة وتخريبهم ما قام من مبانيها لاتخاذ حجاراتها اثافي للقدور وما

* حديث اذيع من محطة دمشق للاذاعة اللاسلكية .

شابهها . وهذه تهمة يرددها الشعوبيون في كل وقت ومكان . ولعل احداً قبل الاستاذ ساطع الحصري لم ينتبه الى ما يعنيه ابن خلدون بلفظة « العرب » فهو حين يذكرها يريد بها ما يريده العامة من اهل الحضر حين يقولون « العرب » ويعنون الاعراب . وحتى اذا اعتبرنا هذا الامر فان ابن خلدون يبقى متجنياً على الاعراب . متجنياً عليهم في تهمته لهم بتخريبهم العامر الآهل وفي النتيجة التي يخرج بها انهم اعداء للعمران . فالعربي ، والاعرابي منه بوجه خاص ، قد يمد يده الى العامر اذا كان مهجوراً ، فما هيكل مهجور في عرفه الا بناء فارقته الحركة فلا حيوية فيه ولا حياة وبالتالي فانه من العبث ان يظل قائماً تلعب فيه الارياح وتعبث به الاشباح اذا كان هناك محل للاستفادة منه على وجه جديد ، ولو كان وجهاً هزيلاً . واذا قارنا بين بدائيين اعرابي بدوي وهندي احمر مثلاً وقفا امام هيكل مهجور فما لا شك فيه ان الهندي سيطيف حول ذلك الهيكل دون ان يجرأ على مسه ، يعتبره مسكناً لاحدى القوى المسيطرة او الآلهة القادرة ، اما العربي فانه يعجبنا منه حينذاك انه يتناول بعض حجارة الهيكل بكل بساطة ليجعلها اثفية لقدره وهو يضحك من اوهام صاحبه ويقول لنفسه كلب حي خير من اسد ميت . وهذه هي الروح العملية التي تسيطر على العرب في نظرتهم الى العمران والاوابد ، واحسب انه كان عملياً جداً ذلك الاعرابي الذي صنع وثنه الذي كان يتعبد اليه من تمر ، فلما جاع اكله .

قد يعترض ، بل قد حدث واعترض بعض الناس على قولي بعدم تعلق العرب بالآثار محتجاً ببكاء الشعراء على الاطلال وذكرهم لها في كل قصيد . والحق ان ليس لاطلال الشعراء من القيمة عندهم الا انها تحمل بقية من ريح الاحباب تذكرهم بها . فهم يبكون احبابهم ولا يبكونها ، بل انهم مثلما قلت آنفاً يعتبرونها كائنات فارقت الحياة لما هجرها اهلها كما قال المتنبي :

لا تحسبوا ربعكم ولا طلله ‏ ‏ ‏ ‏ اول حي فراقكم قتله

ثم ما تلك الاطلال؟ انها ليست الا كما قال زهير بن ابي سلمى :

اثافي سفعا في معرس مرجل ‏ ‏ ‏ ‏ ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم

بقايا الاخبية لا بناء فيها عامراً ولا آثار بناء وانما رماد وشظايا اوتاد ، يبكونها مرة ثم تمر عليها الرياح فلا توصف بعدها ولا تذكر.

ان عامل الحركة والحيوية والروح العملية الذي طبع الحضارة العربية بطابعه قد قال كلمته ايضاً في فنون تلك الحضارة . وفن العمارة العربي لم يتميز بالضخامة والرسوخ مثلما تميز بالجمال والدقة وخفة الظل ، وما تلك الرسوم الدقيقة المتشابكة والزخارف الناعمة المتداخلة كانها وشي على ثوب ، التي امتازت بها العمائر العربية في الشرق وفي الاندلس الا محاولة لتقليد الطبيعة الحية لا في شكلها الجامد بل في حركتها وتفاعلها وفي روحها ، ان العمائر العربية لم يقصد بها ان تطاول الدهر في الرسوخ وانما اريد بها ان تكون متعة للعين والروح وسواء ثبتت او لم تثبت فان الاجيال التي ستجيء قادرة دوماً على ان تنشيء لها متعة جديدة في عمائر جديدة . ولهذا فاننا لا نرى للمدن العربية التي ملأت اسماع التاريخ وصحائفه بحديث حضارتها عمائر تنطق بتلك الحضارة مثلما تنطق بها مدن اليونان والرومان الباقية آثارها حتى اليوم . فاين دمشق وبغداد اليوم من دمشق وبغداد العصور الغابرة ، فان الاشكال القديمة قد تغيرت وان الذي بقي هي الروح الحية ، وهذا ما يهم الحضارة العربية وما يوافق الروح العربية .

ولمثل هذا نجد ان الذوق العربي لم يتعلق بالتصوير كفن من الفنون الجميلة ، ليس ذاك لان الدين قد نهى عنه واستكرهه فحسب بل لان الروح العربية لا تميل اليه كفن يمسخ الاشكال الحية الجميلة بحيويتها الى صور جامدة ، وهكذا نجد انه رغم ان سلطان الدين واحد عند الامم الاسلامية كلها فان فارس والهند قد تعلقت بالرسم وتفننت به بينما ظل العرب يعرضون عنه ويتجافون حتى العصور الحديثة حيث جاء به اليهم الذوق الغربي الدخيل مثل كثير من الفنون التي لم تطبع عليها جبلتهم .

اما الفن الذي تعلق به العرب واخلصوا له فهو الشعر ذلك لانه ارضى نزعتهم في الحيوية والاستثارة . وليست الموسيقى دون الشعر في اذواق العرب بل هي امتداد للشعر واتصال به والفارق بينهما هو الفارق بين السذاجة وبين الترف ، ولقد طرب العرب للموسيقى والغناء في ايام عز حضارتهم ثم انحطت مع انحطاطهم ، وظل الشعر حياً لانه اعرق اتصالاً بارواحهم ، ولعل للموسيقى العربية حياة جديدة بعد ان نفض العرب غبار الزمن عن روحهم وعن حضارتهم او كادوا .

وهكذا نجد ان الطابع العربي في الفن والحضارة هو طابع الحيوية والروح العملية . حضارتهم حضارة اعمال خالدة لا آثار خالدة وفنونهم فنون عواطف ثانوية جياشة لا فنون الاخيلة الجامدة . وهم يؤثرون دوماً ان يصنعوا عملاً عظيماً على ان يتركوا اثراً باقياً ذلك ان العمل عندهم وعند كل صحيح التفكير اصل والاثر صدى ، واذا لم يكن الاصل سامياً فان الاصداء لا قيمة لها مهما رددتها الدهور او ضخمتها ابواق العصور .

دمشق ‏ ‏ ‏ ‏ عبد السلام العجيلي

مدارس بيت المقدس ومعاهدها

في عهد الخلفاء الراشدين والامويين الى اليوم

•

بقلم احمد سامح الخالدي
عميد الكلية العربية بالقدس

☆

تمهيد بحثنا في هذا المقال على المؤسسات التعليمية كالمكاتب والكتاتيب والمدارس ودور العلم ودور القرآن ودور الحديث من يوم انشائها الى يومنا هذا .

ويتناول بحثنا ايضاً المنشآت العامة الاخرى التي وان كانت انشئت لتقوم باهداف خاصة ، الا انها كانت في الوقت ذاته مراكز علمية ، كالبيمارستانات (الاسبتارات ودور المرضى) فانها انشئت لخدمة المرضى ، ولكن رئيس الاطباء كان يلقي دروس الطب فيها نظرياً وعملياً وعلى هذا الاعتبار يصح ان تنظر اليها كمعاهد علمية عامة .

وسنبحث في الاربطة والزوايا والخانقاهات ، وهي بيوت للصوفية ، وكان القصد الاول من تأسيس الاربطة ايواء المرابطين والمجاهدين في الثغور ثم تطورت الى بيوت زهد وعبادة ، تلقى فيها الدروس ومنها علم التصوف ، ثم اصبحت فيما بعد مراكز للترفيه عن المجاهدين في ايام الحروب ، وخاصة في ايام الحروب الصليبية ولكنها بالاضافة الى ذلك كانت مراكز علمية تنشر العلم ، فقد جاء في شذرات الذهب للحنبلي (ج ٥ — ٣٨) في ترجمة ناصر الدين الازجي الحنبلي (٦٠٩ هـ) « انه ولد في بغداد وكان يجلس في رباطه للوعظ ، وكان رباطه مجمعاً للفقراء واهل الدين والفقهاء الغرباء الذين يرحلون الى ابي الفتح ابن المني . وكان الاشتغال في رباطه بالعلم اكثر من الاشتغال في سائر المدارس » .

بل ان الاربطة كان يدرس فيها المنطق ، والرياضي والطبيعي وحتى اللغة اليونانية ! فقد جاء في الشقائق النعمانية « انه توفي سنة (٩٨٩ هـ) داود بن عمر الانطاكي الطبيب كان والده رئيس قرية حبيب النجار (قرب انطاكية) واتخذ قرب سيدي حبيب رباطاً للواردين وبنى فيه حجرات للمجاورين ورتب لها في كل يوم من الطعام من يحمله اليه بعض الخدام ، وكان يحمل الى الرباط فيقيم فيه سحابة يومه وقد وفد رجل الى الرباط ، من بلاد العجم ، فاقرأه المنطق ، والرياضي والطبيعي ، ثم افاده اللغة اليونانية » .

وسنبحث ايضاً في المساجد ، على اعتبار انها مراكز علمية كانت تدرس فيها علوم الدين واللغة العربية وما اشبه .

وقد ظهرت في العهد العثماني مؤسسة عرفت (بالتكية) وهي اشبه بالزاوية ، وكانت تتولى اطعام الطعام للوافدين اليها وتقرأ فيها الاوراد ، ويتلى فيها القرآن وتقام فيها الاذكار وحلقات الوعظ والارشاد .

وهناك مؤسسة اخرى عرفت (بالتربة) وهي عبارة عن بناء يقام على ضريح الواقف ، وتلحق به في احيان كثيرة ، غرفة لقراءة القرآن ، وتجويده وتعليمه ، وقد يلحق الواقف به عدداً من المكفوفين يتعلمون تلاوة القرآن ، او بعض الايتام يتعلمون القرآن ويهدون قراءتهم الواقف .

وسنبتدىء بعصري الخلفاء الراشدين والامويين ، ولسنا نعرف ان العباسيين تركوا اية مؤسسة علمية في بيت المقدس ، ثم نعرج على الفاطميين والايوبيين فالماليك الاتراك ، والجراكسة ثم العثمانيين الى القرون المتأخرة ، اي القرن الرابع عشر . وعلى هذا سنعالج هذه المؤسسات واحدة واحدة ، وسنبحث ما قامت به هذه المعاهد من خدمات ، ونذكر شيئاً عن واقفيها ، وتاريخ وقفها ، واشهر من درس فيها ، الخ . . . وما آلت اليه الآن .

مسجد عمر ببيت المقدس

لما دخل عمر بن الخطاب بيت المقدس سنة ١٦ للهجرة ، دخل

مسجد بيت المقدس حبواً، حتى ظهر الى صحنه ، وتقدم الى مقدمه مما يلي الغرب ، فقال « نتخذ ههنا مسجداً [1]».

ولما اراد تعيين القبلة، وكشف موضع الصخرة قال لابي اسحق اي كعب « خير المساجد مقدمها » فبناها في مقدم المسجد . ويروي الاسقف اركولف وقد زار البلاد المقدسة سنة ٧٦٠م (٥٠هـ) ما يأتي عن جامع عمر في بيت المقدس : « ولكن في ذلك المكان المشهور حيث شيد مرة الهيكل بابداع على مقربة من السور الشرقي يتردد المسلمون على بيت ذي اربعة جوانب للصلاة بنوه بناء خشبياً وركبوه من الخشب على شيء من بقايا الخرائب . ويقال ان هذا البيت يسع ثلاثة آلاف رجل دفعة واحدة » . ويستدل من هذا ان عمر بن الخطـاب بنى مسجداً في موقع المسجد الاقصى الآن ، لناحية الغرب في مقدمه .

مسجد الحيات

ومن المساجد العمرية الاخرى المنسوبة لعمر بن الخطـاب (مسجد الحيات) وقد جاء ذكره في (الانس الجليل) قال كان به طلسم حيات وهو بقرب كنيسة القيـامة ، وهو مسجد عظيم من المساجد العمرية . ويقع الى غرب القيامة ، على يمين السالك الى الخانقاه الصلاحية ، وقد عمّر مؤخراً .

المسجد الاقصى

هو من ابدع الآثار الاسلامية الخالدة ، بناه عبد الملك بن مروان باجماع المؤرخين . وفي الرقيم التاريخي المحيط بثمنات قبة الصخرة الداخلية ، اشارة الى ان البناء قد تم سنة (٧٢هـ) .

وهذا هو نص الرقيم (بسم الله الرحمن الرحيم لا إله الا الله وحده لا شريك له ، محمد رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، بنى هذه القبة المباركة ، عبدالله (لملك بن مروا)ن امير المؤمنين سنة اثنتي وسبعين ، تقبل الله منه ورضي الله عنه » .

وقد استبدل بكلمات (لملـك بن مروا) في زمن المأمون العباسي كلمات (لله الامام المأمون) عند مـا قام ببعض العمارة في المسجد سنة (٢١٦ هـ) وقد ابقت اليد التي احدثت هذا التزوير في الرقيم على حرفي الالف والنون من عبد الملك ومروان، وجعلتها (عبد الله والمأمون) وابقت التاريخ الاصلي اي (٧٢هـ) .

وفي اوراق البردي المحفوظة في المتحف البريطاني « ما يدل على ان الوليد بن عبد الملك قد اشترك في البناء » كمـا ورد في تحرير رسمي لقرة بن شريك عامل الامويين على مصر الى احد حكام الصعيد

(١) مثير الغرام – مخطوط في حوزة كاتب المقال ص (٦١) .

بين سنتي ٩٠هـ و٩١هـ . ولي الوليد سنة (٨٦هـ) وتوفي سنة (٩٢هـ) .

ويقول المؤرخون ان عبد الملك استشار المسلمين في امر بنـاء المسجد وقبة الصخرة سنة (٦٦هـ) فوردت عليه الكتب بالموافقة، وباشر البناء تلك السنة ، واستمر العمل وتمّ سنة ٧٢ هـ . وتولى الاشراف عليه رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام المقدسي .

ويقول الحنبلي في الانس الجليل « ثم بعد انتقال الخلافة الى المنتقم لله الوليد بن عبد الملك انهدم شرقي المسجد . فقد يكون والحالة هذه انه اعاد بناء القسم الشرقي الذي هدم . او اتم بعض نواقص العمارة او زاد في ذلك » .

والمعروف ان الغرض الاساسي من بناء المسجد وزخرفة القبة هو تحويل الحجاج الى القبلة الاولى، والبيت الثاني ، والمسجد الثالث اي المسجد الاقصى، عندما امتنع على المسلمين اداء الفريضة، بسبب ادعاء عبدالله بن الزبير الخلافة ونشوب الخلاف بينه وبين عبـد الملك . وقد جاء في رسالة مخطوطة للامام احمد بن تيمية محفوظة بدار المسجد الاقصى عند زيارته بيت المقدس ما يأتي :

« اما الصخرة فلم يصل عندها عمر رضي الله عنه ولا الصحابة، ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة، بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية ويزيد ومروان ، ولكن لمـا تولى ابنه عبد الملك الشام وقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة ، وكان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير فـاراد عبد الملك ان يصرف الناس عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة ، وكساها في الشتاء والصيف ، ليرغب الناس في زيارة البيت المقدس ويشتغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير » .

واخذ الخلفاء والملوك والسلاطين والامراء والاميرات ينشئون دور العلم والمدارس والربط وما الى ذلك في باحات المسجد وحوله . وكانت هذه المدارس تحتوي على علماء ومدرسين ومعيدين ومتفقهين .

وقد ورد كثيرون من الصحابة الى بيت المقدس ، وسكنها منهم فئة كابي ذر الغفاري ، وابي امامة ، وعبادة بن الصـامت وشداد بن اوس والاخير عقب ببيت المقدس .

ويظهر ان بعضهم وعظ في المسجد الاقصى كأبي ريحـانة ، وتميم الداري ، وفي حديث عن ذي الاصابع اليمني وقد سكن بيت المقدس قال لرسول الله « ارأيت ان ابتليت بالبقاء بعدك اين تأمرني، قال عليك ببيت المقدس لعل الله يرزقك ذرية يغدون ويروحون اليه يعني مسجد بيت المقدس » .

والمعروف ان عمر بن الخطاب وجه عبادة بن الصامت الى الشام

قاضياً ومعلماً ، وقد سكن عبادة في بيت المقدس .

وفي كتاب السنن عن يعلى بن شداد بن اوس قال شهدت مع معاوية ، فحضرت الجمعة فاذا جلّ من في المسجد من اصحاب رسول الله فرأيتهم محتبين والامام يخطب .

وفي (مثير الغرام) ان عبد الرحيم بن غنم الاشعري الفقيه ، قدم بيت المقدس وهو الذي تفقه عليه عامة التابعين في الشام .

قراء المسجد الاقصى

ويظهر انه كان في المسجد قراء يعلمون الناس القرآن فقد جاء في (مثير الغرام) ان ابرهيم بن عبلة يقول « رحم الله الوليد بن عبد الملك كان يعطيني قصاع الفضة اقسمها على قراء مسجد بيت المقدس » .

مقاتل بن سليمان يفسّر القرآن والناس يكتبون

وفي المثير ايضاً « ان مقاتل بن سليمان المفسّر قدم بيت المقدس فصلى فيه وجلس عند باب الصخرة القبلي ، فاجتمع اليه خلق كثير يكتبون عنه ويسمعون منه .

المسجد الاقصى مركز من مراكز تدريس الحديث

والظاهر ان المسجد الاقصى كان مركزاً هاماً لتدريس الحديث في القرن الخامس خاصة . فقد جاء في نفح الطيب الجزء الاول ص ٣٤١ (ومنها قوله تذاكرت بالمسجد الاقصى مع شيخنا ابي بكر الفهري الطرطوشي حديث ابي ثعلبة) والقائل هو القاضي ابو بكر ابن العزي الذي زار الشرق سنة ٤٨٥ ايام حكم الفاطميين لمصر وفلسطين والشام . وقد جاء في ص ٣٤٣ ايضاً (فمنها قوله كان ابن الكازروني يأوي الى المسجد الاقصى ثم تمتعنا به ثلاث سنوات ولقد كان يقرأ في مهد عيسى عليه السلام (في الجهة الشرقية الجنوبية من المسجد) فيسمع من الطور (اي طورزيتا او جبل الزيتون) فلا يقدر احد ان يصنع شيئاً دون قراءته الا الاصغاء اليه[1] .

وهذا الامام الحافظ ابو الفضل علي بن محمد بن طاهر المقدسي (القرن الخامس) ولد ببيت المقدس ، وهو استاذ نصر المقدسي الذي هو استاذ الامام الغزالي .

وهذا الامام محمد بن الوليد الطرطوشي الاندلسي تلميذ ابن حزم رحل للشرق (٤٧٦ هـ) وقدم بيت المقدس وتفقه على ابي بكر الشاشي ، كما ان الامام ابا حامد الغزالي انتقل الى بيت المقدس واخذ في التصانيف المشهورة .

وممن انتقل الى بيت المقدس وسمع الحديث فيه ابو الغنائم محمد ابن ميمون (توفي ٥١٦ هـ) . ويروي لنا الامام ابو بكر بن العربي المعافري الاندلسي الرحالة انه لقي الطرطوشي في المسجد الاقصى بالقدس ، وتفقه عليه ، وصحب الشاشي والغزالي ، ورأى في بيت المقدس خلقاً كثيراً من العلماء .

وهذا ابو عبد الله الديباجي العثماني اقام ببيت المقدس ، وكتب الاحاديث بها ، وسمعها ، وتفقه على ابي الفتح نصر بن ابرهيم المقدسي توفي (٥٢٩ هـ) .

وهذا ابو الحسن المعافري المالقي محدث مجيد سمع المستقصي للحافظ بن عساكر بقراءته على مؤلفه في المسجد الاقصى (مثير الغرام — ص ٧٥) .

الوظائف المرتبة والمدرسون والمعيدون الخ في المسجد الاقصى في القرن التاسع الهجري

ويقول مجير الدين في الانس الجليل ج٢ — ص٣٨٥ « واما الوظائف المرتبة فيه (اي المسجد الاقصى) والمدرسين والمعيدين والخدام والمؤذنين والقراء وغيرهم فكثير جداً ولم يكن فيهم من يباشر ما وجب عليه الا بعض الناس (هذا في القرن التاسع) .

التدريس ، واللغة العربية وتأديب الاطفال في المسجد الاقصي

وقد ذكر مجير الدين في مكان آخر اسماء بعض العلماء الذين تصدوا للتدريس في المسجد الاقصي منهم الشيخ شمس الدين خضر الرومي توفي (٨٦٠ هـ) الانس الجليل ج ٢— ص ٥٦٥ .

على ان التدريس لم يقتصر على الحديث والفقه وعلوم القرآن بل تناول اللغة العربية ، وتأديب الاطفال اي تعليمهم القراءة والكتابة ، ومجالس الوعظ ايضاً .

فمنهم العلامة ابو العزم محمد الحلاوي الذي كان له اليد الطولى في العربية ، وصنف شرحاً على الاجرومية وكان يقرىء العربية وغيرها في المسجد الاقصى ، وقد انتفع عليه كثير من الفقهاء ببيت المقدس ونابلس واعاد بالمدرسة الصلاحية في زمن الكمالي بن ابي شريف وتوفي سنة (٨٨٣ هـ) الانس الجليل (ج٢ —٥٣٨) .

وكان الشيخ عمر بن اسماعيل الحنبلي مؤدب الاطفال يحفظ القرآن ويؤدب الاطفال بالمسجد الاقصى بالمكان المجاور لجامع المغاربة من جهة القبلة توفي سنة ٨٨٠ هـ (ج٢— ٦٠٣ الانس الجليل) وقد جاء ذكره في شذرات الذهب (ج٧—ص٣٣٠ ولقبه بالمؤدب .

ويحدثنا المحبي في (الجزء الثالث ص ٢٦٦) في ترجمة المعري فخر الدين انه (انقطع آخر امره للتدريس والافتاء بحجرة بالمسجد الاقصى قرب رواق الشيخ منصور فاشتهرت الآن بخلوة المعري وصار

(١) وهذا الامام الشافعي (٢٠٦ هـ) قدم بيت المقدس وصلى فيه وقال : « سلوني عما شئتم به اخبركم من كتاب الله وسنة رسوله » .

اماماً بالسلطانية بالمسجد الاقصى توفي (١٠٧٠ هـ).

كما يحدثنا المحبي ايضاً في ج (٤-٤٧٢) في ترجمة يحيى المصراني انه كان فقيهاً نحوياً يقرىء بالخلوة النحوية بطرف سطح الصخرة القبلي، حكى بعض طلبته ان كان يدرس في الجامع الصغير في آخر امره بين المغرب والعشاء. فكان آخر امره بين المغرب والعشاء. فكان آخر عهده انه وقف على حديث «من دان نفسه وعمل لما بعد الموت اللهم لا عيش الا عيش الاخرة»، اوصى بجميع كتبه الى طلبته (١٠٨٣ هـ).

هذا ويستدل من رحلات كل من عبد الغني النابلسي الى القدس (١١٠١ هـ) والسيد مصطفى البكري (١١٢٦ هـ) والشيخ مصطفى اسعد اللقيمي الدمياطي (١١٢٦ هـ) ان الدروس الدينية كانت تلقى في المسجد الاقصى (راجع رحلات الى ديار الشام – لكاتب هذا المقال).

وفي مخطوط لحسن بن عبد اللطيف الحسيني [1] تراجم اهل القدس في القرن الثاني عشر وهو احد مراجع اعيان القرن الثاني عشر للمرادي، عدد من شيوخ القدس ممن درسوا في المسجد الاقصى في قبة (بخ بخ) في حجرته في صحن الصخرة المشرفة، الشيخ محمد الخليلي توفي (١١٤٧ هـ) (وقد كان يلقي دروس الحديث والتفسير والوعظ والتقرير).

ومنهم الشيخ عبد المعطي الخليلي، الذي كان مجاوراً في حجرته في المسجد الاقصى المعروفة بالنحوية على سطح الصخرة، ولم يكن يخرج منها شتاء او صيفاً وكان يشتغل بالافتاء والتدريس وقراءة الحديث، وعلم التفسير، وكان يأكل من عمل يديه من كتابة كتب الحديث بعد قراءة الدروس. توفي (١١٥٤ هـ).

ومنهم الشيخ محمد بن ابرهيم بن حافظ الدين، كان له معرفة بعلم الفلك، وكان شيخ القراء بالمسجد الاقصى، توفي (١١٦١ هـ) وخلفه ولده الشيخ محفوظ وكان معيداً لوالده وتولى مشيخة القراء بعد والده توفي (١١٨٦ هـ).

ومنهم الشيخ محمد التافلاتي المغربي، مفتي القدس، حضر اليها وسكن بها (١١٧٢ هـ) وكان يقرأ الدرس بالحرم القدسي داخل الصخرة المشرفة، توفي (١١٩٢ هـ).

ومن الذين درسوا في المسجد الاقصى في القرن الثالث عشر الشيخ اسعد الامام، مفتي الشافعية، وكان مراد افندي المصري يعلم الخط في الغرف الشمالية من صحن الصخرة، في المسجد الاقصى، وعلوم اللغة في اواخر هذا القرن.

وكان الشيخ الخزندار الغزي يقرىء الاولاد القراءة والقرآن والنحو والصرف والفقه في احدى الغرف الشمالية ايضاً، في صحن الصخرة في اواخر هذا القرن.

وكان الشيخ عبد الرزاق العفيفي يدرس الفقه، وعلوم الدين على المصطبة في المسجد الاقصى تجاه باب الحديد في سنة (١٢٨٧ هـ) وما قبلها وما بعدها.

وكان الشيخ يعقوب البديري يدرّس علوم الدين تحت شجرة الميس في صحن المسجد الاقصى قرب بـاب الناظر، ايضاً في سنة (١٢٨٧ هـ) وما قبلها وبعدها.

ومن الذين اشتهروا في التدريس في المسجد الاقصى الشيخ عبد القادر ابو السعود، فقد كان يدرس في زاويته في الخانقاه الفخرية، وفي احدى الغرف الغربية في صحن الصخرة، وهو من رجـال القرنين الثالث عشر والرابع عشر.

ومن مدرسي الحرم القدسي في القرن الرابع عشر الشيخ محمود الرعاوي، والشيخ علي العوري، والشيخ سعود العوري والشيخ يوسف الامام والشيخ امين العوري، والشيخ موسى البديري، والشيخ طاهر ابو السعود، والشيخ علي الخطيب الجـامعي وغيرهم ممن لا تحضرني اسماؤهم الآن.

الخلاصة

ان في هذه النصوص التي اوردناها ما لا يترك مجـالاً للقول ان المسجد الاقصى كان على قداسته وعلو مرتبته مركزاً هـاماً من مراكز نشر العلوم الدينية وفروعهـا واستمر العمل بذلك طيلة القرون منذ القرن الاول الى يومنا هذا.

وكانت فيه وظائف مرتبة من المدرسين والمعيدين والقراء كما ذكر مجير الدين (القرن التاسع) ولكن المباشرة في العمـل من قبل اولئك المدرسين والمعيدين والقـراء كانت تقوى او تضعف بحسب الظروف والاحوال. ويظهر ان الدروس لم تكن منتظمة في القرن التاسع، مما ادى مجير الدين لذكر ذلك.

وعلى كل فان المسجد الاقصى سواء في داخله اوصحنه، او ما يحيط به كان مركزاً من اهم المراكز العلمية الدينية الاسلامية، تنبعث منه الدعوة الاسلامية وتنشر بواسطته العلوم الدينية واللغة العربية بين جميع الواردين من جميع الاقطار، ولم تخل المدينة المقدسة من العلماء والمحدثين والفقهاء في اي عصر من العصور الاسلامية، ما تقدم منها وما تأخر.

تنبيه: (المقال القادم – في عهد الفاطميين)

احمد سامح الخالدي

(١) مخطوط لدى كاتب هذا المقال

الوهم

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
مدرس علم النفس التجريبي بجامعة فؤاد الاول

☆

تتمثل الحياة بكل مظاهرها من تغير وتجدد في الاتجاهات المختلفة التي يقوم بها الذهن. وكلما كان الشخص تحت ضغط ظهرت امامه الاتجاهات المتعددة ليحاول بواسطتها الخروج من المأزق، والابتعاد عن الخطر، والبحث عن الامن. وهناك طرق سليمة تضمن الوصول بالشخص الى الغاية المنشودة، وهناك طرق خداعة لا تحقق أي غرض بل تبعد الشخص عن المطلوب لتجعله يتعرض الى مشكلات جديدة لم يكن يتوقع الاصطدام بها.

ولكي نفهم هذه الظاهرة المتكررة الوقوع، فلا بد من ان نتصور بعض الحالات المجسمة التي يمكننا ان نشاهدها في حياتنا اليومية. فهذه سيدة حديثة عهد بالولادة وجدت نفسها امام طفلها الصغير يتألم ويصرخ معبراً عن اضطراب شديد في جسمه. وحاولت الام ان تهدىء من روع هذا الطفل بالوسائل الخارجية. وعندما أخفقت لجأت الى الوسائل العنيفة ثم اخذتها الرأفة والحنان وطغت عليها الشفقة وصارت تفكر في أخطر الامراض فمرت بذهنها كل أسماء الامراض التي عرفتها. وابتدأت فعلاً تحاول التفكير في وسائل العلاج الممكنة. وفي هذه اللحظة أدركت كثرة الاتجاهات التي اتجه اليها ذهنها، وشعرت بصعوبة التفكير في كل تلك الامراض، واعترفت هذه السيدة انها اضاعت وقتاً طويلاً مبلبلة الفكر مضطربة الحركة وعندما زاد صراخ ابنها فانها أسرعت الى احضار الطبيب الذي امر بغسيل لتنظيف الامعاء. وكم كانت دهشة الام كبيرة عندما لاحظت ان امعاء الطفل كانت تحمل فوق طاقتها وكان الضغط يحدث آلاماً. وبعدما اطمأنت هذه الام ذكرت للطبيب انها عندما كانت تضغط على بطن ابنها وكان يشتد به الصراخ زيادة في الالم اعتقدت بوجود دمل داخل البطن وكانت تخشى التعبير عن ذلك لانها لم تكن تريد ان تسمع هذه الجملة حتى من الطبيب. وأضافت هذه السيدة أنها وصلت الى التفكير فيما يستدعيه وجود ذلك الدمل من عمليات جراحية خطيرة.

فلو اننا حللنا هذه الظاهرة الواقعية لاستطعنا فهم الصلة بين الوهم والاتجاهات الذهنية. والعمليات الذهنية أفعال وسلوك تسبق الافعال الجسمية الخارجية التي ندركها في الخارج. والافعال الذهنية مثل الافعال الخارجية تتجه في كثير من الاحيان نحو الخطر الذي يخشاه الشخص. ويمكننا ان نلاحظ ذلك في سلوك بعض الحيوانات ان بعض السائقين يروون انهم في عدة مرات لاحظوا ارنباً يتجه مسرعاً ليقطع الطريق وعندما تقترب السيارة منه فانه يتجه نحو السيارة ويلقى حتفه.

فكذلك في السلوك الذهني نجد أغلب الناس يتجه ذهنهم نحو الخطر ولا يفكرون الا في أسوأ الحالات. وأعتقد انه من السهل تأويل ذلك لان الانسان مثل كل حيوان لا يتقي الشر ويسلك سلوكاً سالماً الا اذا ابتعد عن الاخطار الممكنة التي يمكنها ان تهدد حياته فالخوف من الخطر يجعلنا نهتم به اهتماماً زائداً ويتجه ذهننا نحوه لنرقبه بدقة وعن قرب.

ان الوهم عبارة عن انتباه جزئي يتجه اليه الشخص تحت ضغط ظروف معينة. وكل حالات الوهم التي يمكننا ان نقف عليها هي اتجاه ذهني يخشاه الشخص وفي بعض الاحيان يكون هذا الاتجاه نحو شيء يتمناه الشخص بالحاح. واذا كان الاتجاه قوياً فان الوهم يشتد ويتعدى الحالة الذهنية الى الحالة الجسمية. فترى الادراك نفسه يتأثر ويخيل للشخص انه يدرك ما يتوهمه ادراكاً واقعياً.

والامثلة الحية التي يمكن شرحها على اساس هذا الفهم كثيرة. لقد كنت في حجرة درس وانا في المدرسة الثانوية وكنت مستعجلاً لاعود الى المنزل ولما جاء آخر الدرس وانتهى المدرس من شرحه بقيت بضع ثوان للجرس المعلن بانتهاء الدرس. وفي سكون الفصل وانتظار الجرس قمت وحاولت الخروج واستغربت من بقاء التلامذة جالسين لا يتحركون، ليخرجوا. وسألني المدرس في استغراب الى اين؟ فقلت لقد انتهت حصة الدرس واعلن الجرس ذلك. وفي تلك اللحظة سمعت الجرس وكأني أسمعه للمرة الثانية عندئذ شعرت اني ما سمعته في المرة الاولى سماعاً قوياً شبيهاً بالواقع كان وهماً وضحكت من نفسي كما ضحك كل من كانوا حولي.

وفي مثل هذه الحالة نرى ان الوهم لم يكن ادراكاً فحسب بل تعدى ذلك الى ان صار حركة. وذلك دليل على قوة الوهم وسهولة تأثيره في الكيان الانساني بأجمعه. ولذلك لا يجوز لنا ان نستغرب من انقلاب الوهم المتمثل في خوف من مرض الى مرض حقيقي. تتأثر الحركات الداخلية المشرفة على الحياة النباتية او الباطنية مثل حركات المعدة والاحشاء وضربات القلب والتنفس وافرازات الغدد وغير

ذلك من الوظائف المهمة التي تتوقف عليها الحياة .

ان اغلب الناس يؤدي بهم الخوف بعد مشاهدة مريض الى توهم امراض باطنية مختلفة . وكثيراً ما ينقلب الوهم الى حقيقة ان استمر الشخص في تفكيره . واغلب الاوهام الموجهة نحو الحياة الداخلية تكون متعلقة بالقلب . ذلك لان الشخص يعلم ان ضربات القلب قابلة للسرعة والبطء ويمكنها ان تقف فجأة . ومن جهة اخرى يشعر كل شخص بعجزه عن التحكم الارادي في افعال القلب . ولذلك نجد اغلب حالات المرض الوهمي تتفرع من التفكير في حركات القلب . فكأن الانسان لم يرض بالمجال الارادي في افعاله وكان يتمنى لو اتسع هذا المجال ليشمل كل الحركات التي يقوم بها . فالعجز عن التحكم في هذه الحركات المهمة يجعل الشخص يخاف على سيرها لعدم اطمئنانه على خضوعها لرغبته . ويعتبر هذا الوهم ناشئاً عن الخوف من الموت وهو خوف كامن في كل النفوس وتظهره بعض الحوادث والتغيرات .

ولو درسنا كل الاوهام التي ظهرت عند مختلف الاشخاص لوجدناها تتصل بانفعال . وقد يكون الوهم طبيعياً وهو اتجاه مؤقت يتجه اليه الشخص اتجاهاً خفيفاً لينصرف بعد ذلك الى الواقع تاركاً وهمه بسهولة ويسر . ولكن بعض الحالات يتعقد فيها الامر ويصعب على الشخص ان يخرج من اتجاهه الخاطىء . وتخفق كل المحاولات التي يحاولها الشخص ليتخلص من اتجاهه واغلبهم يدرك خطأ اتجاهه ويقاوم بكل قواه هذا الاتجاه ولكنه يجد في نفسه ميلاً قوياً الى الرجوع الى اتجاهه الفكري . وكثيراً ما يكون التخلص مقصوراً على وقت النوم فقط وبعد الصحو مباشرة يواجه الشخص الموقف الوهمي بكل مشاكله . ففي هذه الحالة يكون الوهم مرضياً ، ويحدث اضطراباً واضحاً في سلوك الشخص ويؤثر على مركزه الاجتماعي كما انه يجعل المريض يشعر بالضعف لانه عاجز عن التغلب على افكار كان في استطاعته بالامس التغلب عليها .

واصعب حالات الوهم المرضي هي حالة الشخص الموهوم الذى يدرك خطأ افكاره ومع ذلك لا يستطيع التخلص من افكاره بالسهولة التي يتوقعها كل شخص . ولهذا يعجب الاشخاص الذين يعيشون حول المرضى اذ يحاولون ان يخلصوا الموهوم بواسطة النصح والوعظ والنهي . وفي الحقيقة فان كل هذه المحاولات اللفظية تحدث تأثيراً عكسياً وتجعل الشخص يشعر بقلق لان عجزه يتضح في كثير من الحالات التي يقدر عليها كل شخص .

وهناك حالات من الوهم لا يشعر الشخص الموهوم بشذوذه بل يعتقد انه على صواب ويحاول ان يقنع غيره بما يعتقده هو .

وتتعدى العقيدة في اغلب الاحيان الى سلوك وافعال . وكثيراً ما يكون اتجاه الشخص الموهوم متغلغلاً في كل افعال حياته ولذلك نرى العقيدة الوهمية تؤثر احياناً في الوظائف الفسيولوجية الاولية والافعال الحشوية اللاإرادية .

لهذا السبب نجد المرض الوهمي ينقلب الى مرض حقيقي اذا طال اعتقاد الشخص بوهمه . وقد حاول الناس القيام بالتجربة التي تؤيد هذا الرأي في الحياة اليومية . فكثيراً ما يكرر اشخاص لزميل لهم انهم يشاهدون عليه علامات المرض والضعف ، وبعد تكرار الملاحظة يعجز الشخص عن المقاومة وينتهي به الامر الى الاعتقاد بالمرض ، فالشخص مهما كان قوي المقاومة ومتبصراً بأمور الايحاء فانه لا يستطيع التخلص من آثار الوهم الذى يأتي عن طريق الايحاء .

وهذه الملاحظة تظهر لنا قيمة سلوك الشخص الموهوم الذي يلجأ الى الآخرين ليساعدوه على طرد الوهم . فأغلب الموهومين يصابون بالالحاح في السؤال حول الموضوع الوهمي الذي يشغل بالهم . والمقصود من ذلك هو الاستعانة على ضغط الفكرة الوهمية التي يحاول الشخص الموهوم طردها .

وكان موضوع الوهم يعتبر من المشكلات النفسية المجردة . واعتقد انه من الواجب ادخاله في البحوث النفسية الجسمية . لاننا نلاحظ ظهوره بعد حدوث الضعف الجسمي . ومهما كانت اسبابه فاعتقدان الوهم راجع الى ضعف عملية الضبط والمراقبة . وفقدان الضبط يؤدي الى حدوث الهبوط النفسي وظهور الاوهام .

ودراسة الوهم دراسة علمية على اساس منهج علم النفس تشرح لنا حقائق نفسية عديدة وتوضح لنا صلتها بالتغيرات البيولوجية . فالثابت ان للوهم صلة وثيقة بالانفعال والتعب . وان ظهوره عند الشخص مشروط بظروف جسمية نفسية واجتماعية . ويمكننا معرفة الوهم بالوقوف على شروطه . كما انه في امكاننا علاج الوهم بابعاد الشخص عن الظروف التي احدثت ظهوره . ويكون من العبث محاولة القضاء على الوهم عند الشخص بوسائل الاقناع وحدها دون القيام بتغيير شامل في ظروف حياته .

ويجب دراسة الظروف التي يمكنها ان تحدث الافكار الوهمية وهنا يفيدنا علم النفس التكاملي الذي يهدينا الى الاسباب الخفية التي تجعل الشخص يعتقد اعتقادات خاصة به لا اساس لها من الصحة ولا يشاركه فيها غيره ويقول عن تلك الاعتقادات اوهاماً .

القاهرة — ابو مدين الشافعي

تقرير المصير

بقلم هناء المغربي داغوش

« نعم – اريد زوجة لا خادماً ، ورفيقة لا اسيرة »!

بهذه الكلمات انهى رضى الساحلي احد احاديثه مع امه ، التي لا تنفك عن ملاحقته في امر زواجه . فقد بلغ الحادية والعشرين من عمره ، وهو عماد البيت في كسب المعيشة ، وامل الاسرة في تخليد نسلها القليل .

ولكن رضى لا يؤمن بضرورة الزواج في هذه السن المبكرة . فيقول لامه : – انني لم أنه دراستي ، وعملي الحالي لا يدر علي ما يكفيني ويكفيكم ! فتلح امه مستدركة :

– ولكن البيت يا ابني مفتوح ! ان امرأتك لا تزيد في نفقات المعيشة ! طعام خمسة يكفي ستة ! تزوج يا ابني ورزقها على الله !

فيحار رضى بأية لهجة يفهم امه ان الحياة اليوم هي غير الحياة التي عهدتها هي منذ اربعين سنة ، وان تكاليف الزواج وحدها كافية لاغراقه في دين لا يتخلص منه ابداً .

وكان رضى بكر امه ، مات ابوه في الجبهة وهو طفل في الخامسة ، ففتح عينيه ، بعد الحرب العالمية الاولى ، على دنيا من الآلام والحرمان . واذا به ينوء بحمل اليتم ومتاعب العيش ، دون حام يتكفل البيت ومن فيه . وبرغم ذلك دخل المدرسة المجانية فكان يدرس في نصف النهار ، ويعمل في النصف الثاني لكسب القوت : قوته هو وقوت اخويه واخته وامه ! غير ان هذه الظروف القاسية لم تدم اكثر من ست سنوات ، انفرجت بعدها هذه الضائقة المستحكمة .

وصادف ان الانتداب الذي فرضته عصبة الامم على البلاد قد تضاءل نفوذه بسبب الثورة القائمة في الداخل . فانصرفت الجيوش عن المدن الى قمع تلك الثورة في الارياف البعيدة ، وتوفر للناس الغذاء والكساء باثمان معقولة . ولا سيما ان العملة لم تكن قد تدنت قيمتها بتدني قيمة النقد الورقي الذي شاع استعماله وتضخم عدده .

حينئذ اتيح لبيت الساحلي ان يتنفس الصعداء ، فيظهر بفضل ما يكسبه رضى ، وبفضل الواردات القليلة التي تدرها الاوقاف الموروثة ، بمظهر لائق ، اطمع في ربة البيت بعض الشبان الذين يرغبن في الارامل ، تخلصاً من المهر ونفقات الاعراس .

وكانت امها – ام رضى – في اواخر العقد الثالث من عمرها . فلم ترفض الاقتران بعبدالله الحلبي ، وان كان اصغر منها سناً ، وهو الموظف الموثوق في قلم الديون العمومية .

وهكذا اتيح للشاب ان يلقي عن كتفيه اعباء ينوء بحملها الرجال .

هذه الذكريات كانت تتجسم في مخيلة رضى ، كلما حدثته امه بامر زواجه ، فينفر من الفكرة نفوره من الاقتران بفتاة لم يرها ، ولم يتبادل معها حديثاً . فالتقاليد التي كانت تقضي بالحجاب لم تبرح مرعية حتى اليوم في البيئات الوسطى .

فيقول الفتى متأففاً :

– كيف اتزوج فتاة لا اعرفها ، ولا اعرف عنها سوى ما تصفيه لي انت واختي ؟ ثم يقول الشاب ليصرف امه عنه :

– طيب ! ولكنني اشترط ان لا تكنس البيت ابداً ! اسامعة يا امي . لا تكنس ابداً ! .

فتعترض ام رضى على هذا الشرط اعتراضاً جازماً ، وكأنها تدافع عن نفسها : – يا ابني الكناسة لا غنى عنها في المنزل ! المكنسة في يد الزوجة كالسوار في معصمها ، كلاهما زينة لها ، وثروة للبيت !!

وتنقضي الايام بل الاعوام ، وام رضى لا تني تبحث لابنها عن عروس ، وامهات العرائس لا ينفككن عن زيارة ام رضى والتقرب منها : فهي ام لثلاثة شبان ، لا بد ان يكون لاحدهم نصيب في احدى بناتهن .

ورضى مصر على الرفض بشتى الاعذار .

– دعد ! هذه فتاة جاهلة ! وانا اريد زوجتي فتاة متعلمة ! – سلمى ! هذه ابنة مستهترة لا تصلح ربة للبيت ! .

– هند ! هذه فتاة متكبرة لا يمكن ان تكون اماً رحيمة !

وكانت طبيعة الحياة التي يحياها رضى في المدنية كفيلة بان تمكنه من اختيار الزوجة التي يريد ، لولا هذه التقاليد . فهو اذا اعجبته فتاة ، لم يعجب اباها ، واذا اعجب اباها لم يجد لديه ما يؤديه مهراً ونفقات اخرى تبلغ مثل نصف المهر او تزيد !

وقد يغالي الآباء في هذه المهور والبائنات ، حينما اثرى فريق من الناس على حساب الطبقات المتوسطة والعاملة ، حتى صارت المهور والبائنات للتفاخر ، لا لتأمين الرفاهة للعش الجديد الذي يؤلفه الزوجان ، ورضى مستخدم يكاد راتبه لا يفي بضروريات شاب مثله يعيش في مدينة كبيرة ، تتنوع فيها وجوه الانفاق ، ويود ان تكون حياته في مستوى ثقافته ووعيه الاجتماعي ، وشخصيته النامية .



ولئن كان زوج امه قد تحمل عنه كثيراً من نفقات البيت ، فانه بقي مجبراً على دفع اجرة هذا البيت ، فضلاً عن ثمن الماء والنور

وخروج اخته الشهري، والمعونة المترتبة لاخويه، والهدايا الواجبة لامه.

وفي ذات يوم استيقظ رضى متأخراً على غير عادته فلما خرج الى الدار وجد (العيلة) في شبه مؤتمر مجتمعة تتناقش في امر زواجه، وتقرر وجوب ذلك الزواج. ولا سيما ان اخويه قد بلغا السن الملائمة ايضاً. وهما لا يطلبان الا ان يفسح لهما المجال، عملاً بالتقاليد فقال رضى مباسطاً اعضاء هذا المؤتمر.

– خير ان شاء الله! هل تفسرون الاحلام ام تتآمرون على السلطان؟ فأثار سؤال الشاب الساخر مختلف الانفعالات في الحضور فامه التقية لا تحب له ان يسخر من تفسير الاحلام. وكذلك زوجها الذي يتابعها في الايمان بعالم الرؤيا واخوه سعيد يرى رأي رضى في ان الاحلام انما هي رجع ما في النفوس من رغبات وآمال، سواء انبثقت منها او انبعثت فيها بتأثير خارجي! ولكنه يؤثر كأخيه الثاني خليل، ان يسرع رضى بالزواج، ليتخلص من الامتيازات التي يتنعم بها هذا الاخ البكر. لذلك بادر سعيد الى القول، وهو لا يخفي هذه العاطفة: – لا مؤتمر ولا مؤامرة! نحن هنا حتى نتخلص من... قصة زواجك!

ويكمل الاخ الثاني شارحاً القرار الذي اتخذوه بعصبية ظاهرة:

– الوالدة تقول ان سعدى بنت الريفي هي انسب فتاة رأتها. اليس كذلك يا خوله؟! ولذلك ستخطبها لك وينتهي الامر!

وكان سكوت رضى ابلغ رد الا ان الوالدة اعتبرته هي وسائر اعضاء المؤتمر بمثابة القبول والرضاء.

وبدأت المفاوضات التقليدية في اليوم نفسه، بين بيت الساحلي وبيت الريفي! ولم يكن منتظراً ان تطول هذه المفاوضات اكثر من ثمان واربعين ساعة، لولا حادث بسيط عرض، هو ان ام الفتاة المخطوبة اقترحت الاستبدال بسعدى أختها دنيا، مراعاة للتقاليد، وخشية ان ينجرح قلب الاخت البكر.. وقالت للخطابات:

– دنيا اجمل من سعدى، واحلى، وهي لا تكبرها الا بسنتين! وابوها سيخصها بحصة اكبر من الميراث!

فسكت رضى ايضاً عن هذا الاستبدال. ولا سيما انه لا يعرف لا هذه ولا تلك، ولم ير لا وجه سعدى ولا وجه دنيا، وان قيل له ان الاولى اعلى ثقافة، لانها تحمل الشهاده الابتدائية!! ولكنه اشترط شرطاً واحداً، هو ان لا تكنس زوجته المقبلة ارض البيت، كما تمنى امنية واحدة هي ان تكون طبيعية في زينتها، او اقرب الى الطبيعة. وقال:

– الكناسة رمز انحطاط في البيوت وعنوان جهل المرأة فيها! والتصنع اعلان صارخ عن قلة الذوق!

وما جاء يوم العقد حتى كان رضى قد تخلى عن كل شيء حتى عن امنيته الاخيرة، متابعاً الناس حوله، والتقاليد القاهرة. واكتفى من كل ما رسمه لنفسه في الحياة بان رأى دنيا.. ولكن من شق باب في بيت جارة لها. فخيل لرضى، في تلك اللحظة من الليل ان هذه الفتاة الضئيلة الجسم، فتاة شقراء متناسبة الاعضاء.. وهو ممن يؤثرون الجمال الاشقر الغريب على هذا الجمال الأسمر البلدي الشائع.

ولكن هذا اليقين كان افتئاتاً على الحقيقة وخدعة للابصار، اذا انطلى على الناظر العجل فلا ينطلي عليه اذا تمهل. فشقرة دنيا صباغ مصطنع. وتناسق اعضائها تزوير آخر اشترك فيه الخياطة وصانع الاحذية. انها فتاة عادية اصيبت احدى ساقيها بكسر فما برئت من هذه العاهة تماماً. بل اصيبت فوقها بمرض آخر، هو هذا التصنع البغيض، ومركبات من النقص تلازمها. فتركت العاهات في جسدها وخلقها وعقلها آثاراً هي جميع ما ينفر منه رضى في المرأة، على الاطلاق، وفي رفيقة حياته على وجه التخصيص!

اسودت الدنيا في نظر الشاب فانكمش على نفسه. لقد ايأسه هذا المصير.

– فتاة عرجاء شوهاء! وجاهلة متكلفة حمقاء. فوق ذلك فتقول له امه مؤاسية: – لا تحزن يا ابني اذا اشتدت الازمة انفرجت! الم اقل لك ذلك يوم كنت طفلاً صغيراً!

ورضي لا يجيب بكلمة، ولا يلوم احداً! فقد انصرف الى معالجة الموقف بنفسه في هذه المرحلة الحرجة، بعد ان ترك الآخرين معالجته في المراحل السابقة. والزواج من الاحوال الشخصية على كل حال، لا يهم هؤلاء الآخرين بقدر ما يهم الشخص الذي يعنيه الامر.

وجاء اضطراب الحالة الدولية في العالم ليزيد في احكام الازمة الاقتصادية التي يعانيها سكان هذه البلاد، وخاصة الموظفون والمستخدمون وسواهم من ارباب المداخيل المحدودة. في حين كان زملاؤهم في البلاد العربية المجاورة ينعمون ببحبوحة مرموقة وبيسر محسوس. ولكن هذه الشدة نفسها كانت بداية الفرج الذي شق لرضي طريق الخلاص.

فابو دنيا قد اثرى بما احتكره من مواد الزينة واصبغة الوجوه والشفاه، وتضاعفت اثمان عقاراته بفضل غلاء الاجور المتفاقم، لوفرة المهاجرين من القرى الى المدينة. فكان لهذا الاثراء الفجائي في نفس الفتاة وفي نفوس ذويها اثر لم يشك رضى لحظة في انه مفتاح التحرر المنشود.

ثم اشتعلت الاضطرابات في فلسطين، عقيب صدور الكتاب

عندما افترقنا

بابره

●

عندما افترقنا
بصمت ودموع ،
وقلوب شبه كسيرة
انبتعد عن بعضنا سنين ،
امسى وجهك شاحباً ، بارداً ..
وابرد منه كانت قبلتك .
حقاً ، تلك الساعة نبأت
عن ألم هذه !

***

لقد انحدر ندى الصباح
مرتعشاً على جبيني
وكان كالنذير
لما احس به الآن :
عهودك كلها نقضت
وتافهة اضحت سمعتك
اسمع اسمك تلوكه الافواه ؟
فاشارك في عاره

***

يتحدثون عنك امامي .
حديثهم يصل في اذني كجرس الجنائز
وتعروني رعشة ...
آه ، لِمَ كنت هكذا عزيزة !
لا يدرون انني اعرفك ،
انا الذي اعرفك جيداً ،
واتعذب طويلاً من اجلك ،
عذاباً اعمق من ان استطيع التعبير عنه

***

بالسر التقينا ، وبصمت أتألم .
واذا ادعى قلبك النسيان ،
فضحته روحك .
فاذا التقيتك بعد اعوام طويلة ،
كيف احييك ؟
بصمت ودموع

بغداد عبد الملك نوري

الابيض لسنة ١٩٣٩ ، وما تضمنه من حلول ، لم يرض عنها لا العرب ولا اليهود المتنازعون . فاتيح لابي دنيا الريفي ان يكسب مئات الالوف من الليرات الاسترلينية ، بما هربه الى الصهيونيين من مواد غذائية . فتم لرضى بذلك تمهيد السبيل الى تحرره من حبائل الغش التي وقع فيها .

وفي ذات صباح ، قبيل حفلة العرس بايام معدودة ، جلس الشاب خلف مكتبه في المصنع ، وسطر الى خطيبته الكتاب التالي .

عزيزتي دنيا !

انت تعلمين انني من ارباب المدخول المحدود . وتعلمين ان استئجار منزل خاص بنا يقتضيني الآن كامل مرتباتي عن نصف سنة .

ثم هذه القضية الخطيرة التي حدثتك مراراً عنها ، قضية الكناسة .. لا استطيع ان اتساهل فيها ، كما لا استطيع ان اتساهل في امر هذه المرأة المشبوهة التي تلازم بيتكم ، وتعاشرك بصورة خاصة معاشرة الصديقة ! وانا كما اخبرتك مراراً اريد ان اتزوج رفيقة لا خادمة واريد فوق ذلك ان تكون هذه الرفيقة لا تحسن كناسة البيت ، فلا تقتلني بجهلها ، ولا تقتل الآخرين بالغبار !

لذلك فانت تعذرينني اذا اخبرتك انني اجلت حفلة العرس الى اجل غير مسمى . وعلى امل ان اراك بخير ، ساجرب نسيان ما لقيته في الحياة من غش وخداع هما من بضائع بعض التجار ، في هذا البلد التجاري ، حتى في عقود الزواج ! »

اودع رضى هذا الكتاب صندوقة البريد ، ولم يشأ ان ينتظر جواباً ، لانه كان يعلم ذلك الجواب . بل ذهب تواً الى اقرب شركة نقل ، واستأجر سيارة تحمله الى فلسطين حيث يناضل العرب للاحتفاظ ببلادهم ، فينسى هناك ، في ميدان الجهاد ما لقيه هنا في الميدان الآخر . ولم يحل بين رضى وبين تحقيق هذه الامنية سوى ... تدخل الانجليز .

فقد طلبت بريطانيا الى العرب ان يتريثوا ويهادنوا ، بعد ان اجتاحت كتائب النازية حصون الديمقراطية في اوروبا الوسطى . فنزل العرب عند طلب صديقتهم التقليدية ... وادارو فوهات بنادقهم نحو صدور العدو المشترك .

وهكذا عاد رضى الى استئناف عمله المتواضع ، وحياته الرتيبة ، في مكتبه القديم ، وبيته الهادئ .. فكان البيت هذه المرة هادئاً حقاً ، برغم الحرب التي اشعلت نيرانها اطراف المعمور . لقد آثر كل من فيه ان يتركوا لهذا الشاب حرية تقرير المصير ... هذه الحرية التي تناضل الشعوب في سبيلها ، ويناضل الفرد ، منذ ولادته حتى يموت !

رشاد المغربي دارغوث

المكتبات العامة دعامة التربية الشعبية

بقلم الدكتور يوسف اسعد داغر
امين دار الكتب اللبنانية ، خريج معهد المكتبات بباريس

الاونسكو والمكتبات العامة : انبثقت منظمة الاونسكو عن رغبات ٤٣ دولة حرة مستقلةهي دول الامم المتحدة . والقصد من هذه المنظمة القيام بكل ما من شأنة ان يساعد على اقرار السلام وتوطيد اركانه وتركيز دعائمه في العالم ، مما يؤول الى حلول التفاهم العقلي والروحي والاجتماعي بين البشر ، مهما اختلفت اجناسهم وتباينت اديانهم وتباعدت لغاتهم . ولعل الاداة الطيعة المثلى لتحقيق هذه الاهداف السامية هو بث انوار العلم والمعرفة بين الجماهير عن طريق الكتاب لتيسير سبل التفاهم فالتعاون بين الامم والشعوب .

وقد عنيت منظمة الاونسكو في الاجتماعات الدورية والمؤتمرات العامة التي عقدتها منذ نشأتها حتى اليوم ، عناية ملموسة بالمكتبات العامة بوصفها خير اداة لتنوير الجماهير ، معربة في ذلك كله عن ايمانها الوثيق بما لهذه المؤسسات العلمية من شأن خطير في تحقيق ما تنشده المنظمة من اهداف وترمي اليه من اغراض : وقد رأت مقتنعة ، انه من اقدس واجبات المنظمة العمل على بث الدعوة لانشاء المكتبات الحديثة والنهوض بها والاكثار منها في الاقطار والبلدان التي لا تزال للآن مفتقرة اليها فتبذل جهدها ووساطتها ما استطاعت الى ذلك سبيلاً ، لتحمل الدول والشعوب على انشاء اكبر عدد من المكتبات .

وقد رأينا ان نبسط هنا بايجاز المنافع التي تعلقها منظمة الاونسكو على المكتبات الشعبية ، فنكشف عن ايمانها بها وبفعاليتها كخير اداة للتربية الشعبية وانماء الشعور بالتفاهم الدولي ، مما يؤول الى استتباب السلام في العالم اجمع .

نظرة الديمقراطية الى المكتبة العامة نظرها الى امثل الوسائل للتثقيف والتربية : تمثل المكتبة العامة خير ما تفتحت عنه مُثل الديمقراطية الحديثة . ففيها يتبلور ايمان الهيئة الاجتماعية وفيها يتحيز اعتقادها بما للتربية من قيم مثلى وبانها عملية يمتد الاخذ بها الحياة بكاملها ، تبتدىء منذ الساعة الاولى والمرء بعد في ضمير الغيب وتنتهي بانتهاء اجل الحياة .

قد يكون القصد الاول من المكتبة العامة اشباع حاجات المرهقين التربوية والعلمية . فعمل المكتبة من هذه الناحية تتمة لعمل المدرسة . فهي تساعد جدياً والى حد كبير ، على اشباع حب الفضول والروح الطامعة الكامنين في اغوار النفس البشرية ، من الصغار الى الكبار على السواء وشغفهم بالقراءة والمطالعة ، فالمكتبة تهدف كما هدفت المدرسة من قبل ، الى مساعدتهم في استكمال مقومات الرجولة والمزيد من هذه المقومات ، بالاستفادة من الكتاب ومما يمثله الكتاب من قيم وكفاءات كأداة خير واداة اشعاع .

ولما كانت المكتبة العامة مؤسسة ديمقراطية في اصلها وطبيعتها ، يقوم بها الشعب وينهض بمهامها لمنفعة الشعب واصالحه وخيره ، فقد وجب على المكتبة العامة ان تستجمع المقومات التالية :

— ان تنشأ وتدار تحت سلطة حكومية واعية ، باعتبارها خلية هامة من خلايا جسم الدولة .

— ان تكفل الدولة ، كلياً او جزئياً ، قوامها واودها ، وذلك بان يرصد لها سنوياً ما هي بحاجة اليه من اعتمادات مالية .

— ان تفتح ابوابها للعموم ليستفيد منها على السواء كل اعضاء الهيئة البشرية مهما تباعدت اشغالهم وتضاربت عقائدهم واجناسهم .

ما الذي يجب على المكتبة العامة ان تقدمه للجمهور ؟ يجب على كل مكتبة عامة تستحق ان تحمل هذا الاسم ، ان توفر لكل من يرجع اليها ، الوسائل التي من شأنها ان تحرك الفكر وتحمل على التفكير وتوقظ في المرء القرائح ، كالكتب والوثائق ، والرسائل والمباحث ، والجرائد والمجلات والخرائط والمصورات ، والرسوم اي كل ما يساعد على التنوير .

ان قيمة المكتبة وتيسير رسالتها على الوجه الصحيح ، انما يقومان اصلاً ، وقبل كل شيء ، على ادارة فنية ، مسلكية تستجمع خير عدة علمية ادبية ثقافية ، كما تقوم ، من ناحية ثانية ، على ما تتحلى به مجاميعها من التخير والانتقاء . فالكيف قبل الكم ، والنوع قبل العدد . لا يعطي المرء الا ما تملك يداه ، والاناء لا ينضح الا بما فيه . فلا تنتظر ، والحالة هذه ، يا قارئي العزيز ، ان يخرج من العوسج تين ولا من الشوك عسل . فالنتائج مرهونة ابداً بمقوماتها . فلا تنتظرنّ علماً من اخي جهالة ، ولا نوراً من انصاف المعرفة هؤلاء الذين ، في غفلة من الدهر وفي مهازل الحكم والحكومات ، جيء بهم لادارة هذه المؤسسات . فمجاميع المكتبة وموضوعات العلوم والفنون فيها ، يجب ان تتكلم من نفسها بمجرد وجودها وتمهد ، من حيث انها ممثلة او غير ممثلة لافانين العلوم ، عن المجاري الفكرية والتيارات العلمية والادبية والفنية التي تزخر بها الامة وينبض بها واقعها الموضعي المخيز .

يجب على المكتبة العامة ان تتيح للجميع : للكبار والصغار، الرفيع والوضيع ، للسري ، والصعلوك ، للنساء والرجال :

– الانصراف الى استكمال مقومات تربيتهم وثقافتهم من اي درجة كانت دونما انقطاع .

– التفتح الذهني للاخذ بتطورات العلم في شتى مناحيه .

– حرية الضمير والتفكير والتعبير عن رأيهم الصريح بما يواجهون من مواقف تتصل بالحياة العامة التي تلابسهم .

– تجهيز انفسهم ، في الحال والاستقبال، بما يضاعف فعاليتهم في الاعمال التي يزاولون . – تقوية طاقة امكانياتهم واستعداداتهم المساهمة في الحقل الثقافي على نسبة تقديرهم لقيم الاشياء .

– الاستفادة من اوقات الفراغ، انى وقعت ، على صورة تعود على صاحبها بالرفاه والاسعاد .

المكتبة قوة حيوية للجماعة : على المكتبة ان تكون حية واقعية باعثة على النشاط ، متصلة بحياة الجماعة باوثق الاسباب وان تقع منها موقع القلب من الجسم فهي ، اي المكتبة ، لا ترمي قط ولا تتطلع الى تعليم الناس ما الذي يجب ان يفكروا به ، وجل غايتها ان تكون مثاراً لفضولهم العلمي ولروح الاستشراق والتطلع الى ما يحيط بهم او تقع عليه منهم العين ، فتوقظ منهم الانتباه فالمحافظة فالفكر فالمحاكة العقلية . يجب على المكتبة ان تجتذب انظار النظارة او المارة وتوجه انتباه الجماهير الى القيم من محاصيل الفكر ونتاج العقل ومبتكرات القرائح ومخترعات العلم والفن ، وذلك عن طريق ما تقيمه من المعارض والمتاحف الدورية وما تضعه من الفهارس المخدومة ، والنقد والمحاضرات والاحاديث العلمية والاحترام واللوائح الدقيقة ، الى غير ذلك من اساليب التنوير والاستصباح الفكري التي تهديهم الى مرابض الادب الرفيع والعلم المصفى والفن العالي .

يجب على وسائل تنوير الجماهير مما تحسن الدولة تحريكها او توجيهها ، كالجرائد والاذاعة مثلاً وغير ذلك من ادوات التأثير ان تضع بالاشتراك ، مجتمعة متضامنة ، منهجاً محكم الوضع يرمي الى اثارة الرغبة والتشويق الى المطالعة وارتياد المكتبات .

على المكتبة العامة ان تنسق عملها وتحكم ربطه احكاماً وثيقاً بكل ما يتصل باركان التربية والثقافة والعلم ومصانعها الكبرى كالمدارس والجامعات والمعاهد الدراسية واتحادات العمال والنوادي العلمية والادبية والمواطن الثقافية الاخرى ، لتعمل معاً بالتعاون المشترك في كل ما يؤول الى توطيد المكتبات في البلاد وتعزيز مهامها وتوسيع مداها .

المكتبات العامة هي الجامعات الشعبية بعينها : اذا ما توفرت المكتبة العامة ادارة فنية متخصصة تحسن الابتكار ولا تزدري بافانين الوصول في عملها، وترتكز على موازنة دقيقة تضمها يد رفيقة، استطاعت المكتبة العامة ان تحقق ما يجب ان تكونه بالفعل ، فتصبح جامعة شعبية بما للجامعة من امتيازات ، لها ما للجامعة من غنم دون ان ينالها الغرم فيما تقتضيه مسؤولية الادارة من متطلبات التسجيل والانتساب والنهوض باعباء الدرجات العلمية . فبوسع المكتبة ان تمد روادها بتربية قوية رشيدة حرة صحة .

ان جميع مواطني الديمقراطية ورعاياها الكثر ، يجب ان تتوفر لهم في يومنا هذا ، كل الامكانيات ، ليدرسوا على انفسهم كل ما يرغبون في درسه واقتباسه . فالحياة القاسية ومتطلباتها المتشعبة المتشابكة وعدم استقرار حبلها ونهرها يجعل هذا المطلب ضرورة ماحة وامراً لا مفر منه ولا مهرب .

ماذا يجب عليك عمله بعد الذي قرأت ؟ : اطلعناك ايها القارىء العزيز ، في ما مر بنا من بحث ، على الامكانيات العظيمة المغوية التي تكمن تحت كل مكتبة عامة فتجعل منها ، مبدئياً او بالقوة كما تقول الفلسفة المدرسية ، جامعة شعبية تقوم باود تثقيف الجماعات فعليك يتوقف الى حد كبير ، تحقيق هذه الامكانيات وتجهيزها في الزمان والمكان لخير الجماعة التي تعيش فيها وتعمل لها .

فما عساك فاعله ، انت ، في محيطك الذي لم ينعم بعد ، حتى اليوم ، بمكتبة عامة ؟

استفت في امرك ومصيرك ومصير الجماعة التي تعيش واياها نقابة امناء المكتبات في وطنك ، ان كان ثمة من نقابة ، او ادارة المكتبة الاهلية ، ان كان ثمة من مكتبة او وزارة التربية الوطنية فتغنيك بما يسدد خطاك في المسعى الكريم والمطاب النبيل الذي تهدف اليه من انشاء مكتبة عامة والخروج بمشروعك الى حيز الوجود ، وان كنت صادقاً مع نفسك ونحو وطنك الاصغر ، تدبر النصح والارشاد بالعمل السوي الرشيد .

اما اذا كان في المحلة خزانة قائمة فاتصل بمديرها او بأمينها ، واعمل على توثيق صلاتك به وبين جيداً الاغراض المنشودة ودقائق العمل المبسوط لديك في الخزانة القائمة وحقق الصورة المرتسمة ، وسر في عملك الانشائي وتمنّ ان تسير عدوى عملك الى اكبر عدد من النواحي والاقضية فترتفع المكتبات الشعبية وتوزع غيث العلم والتربية والثقافة على الالوف من النفوس العطشى الى العلم والمعرفة لخير العباد واسعاد البلاد .

يوسف اسعد داغر

الربيع

رفوف ورفوف على آفاق نجوانا وافرش دروب الصبا ورداً وريحانا
واضرب عصا السحر فوق الصخر مبتسماً وفجر الارض انهاراً وغدرانا
تلك البراعم في اعماقنا اختمرت بذورها ونمت في روض ذكرانا
سكبت فيها عبير الوجد فابتسمت سكينة الوحي في اهداب رؤيانا
وغلغلت في حنايا النفس هينمة زادت عواطفنا بالحب ايمانا
ضمنا وعدنا التقينا في مراتعنا فهلل الغاب والوادي للقيانا . . .
افرغت قارورة الاحلام فامتلأت اجواؤنا منك ياقوتاً ومرجانا
والفجر موغ بالاضواء جبهته فأشرق الافق مفتوناً بمرآنا
والنهر قد اسمع الوادي قصيدته فصفق القصب الممراح ولهانا
ورددت باسقات الحور همسته فاغرورق السفح بالالهام نشوانا . .
الطير فوق غصون الايك حائرة ارجع لها يا ربيع الحب ما كانا
قد هزها البعث في الاكفان فانتفضت ولهى تمزق اغلالاً واكفانا
تذرو اناشيدها في كل منعطف وتقصد السفح آنا والذرى آنا . .
اما الفراش على الآكام ، منتشر تخاله من ذهول النور وسنانا
يمضي الى الروض مدفوعاً بنشوته حتى يدغدغ اعرافاً وتيجانا .
والنحل فوق كؤوس الزهر منغمس يحسو ويحسو ويقضي العمر ظمآنا
ينبث فوق الهضاب الشم مؤتلقاً يحدوك بين ضلوع الغاب جذلانا .
وعند كل مطل صوت راعية يدوي فتمتلئ الغابات رعيانا
كل مع النغمة العذراء منطلق ، لاه ، يبدد اوهاماً واشجانا .
فلا تعي غير انغام مجنحة تريقها نهدات الشوق تحنانا . .
وشاعر الحب جاث ، طي عزلته يبني لزقزقة الارواح اوزانا
تشدو بنات القرى من حوله طرباً فينثني لالتقاط اللحن هيمانا
قد ذوب الروح شعراً في قصيدته واترع الكون انغاماً والحانا . .
هذي مواكبنا في كل رابية تكسو الطبيعة احلاماً والوانا
فيض من الملأ الاعلى قد انتشرت منا اشعته شوقاً ووجدانا
عطر وهمس واصداء موجعة ترفض منك وتنزو من محيانا . .
مررت بالسهل فانسابت جداوله من راحتيك وشع المرج وازدانا
ورحت الروض فافترت براعمه وتمتمت بشذاها ما احيلانا !!
نفخت في الارض روح الحب فانتعشت عروقها وجمات العمر فتانا .
هل انت عرس الصبا في كل مرحلة تزهو بحلتك الخضراء ريانا
ام انت نفس إله كلما سطعت اشراقة الوحي نحياها وتحيانا . ؟
رفوف ربيع الصبا ، في كل رفرفة تكسو شباباً قضى الايام عريانا
ما انت الا انبثاق من صبابتنا وما اغانيك الا فيض دنيانا . .

مصطفى عبد ربه

حلم

على شفتي « حالم » قد غفوت   فطاف بجفني ، كرى مبهم
واطبقت قلبي على ثغره   عساه ، يبوح بما يكتم
وخضبت بالآه ، ظل الشفاه   فكاد يضج ، بها العندم
تمنيت ، لو طال غفو الحبيب   وابقى ، على غفوة تنعم
ويمضي هزيع ، ويأتي هزيع   من العمر ، والحلم مستسلم
ويفنى الزمان ، ويفنى الورى ، . . .   وتفنى السماوات والانجم
وابقى ، على ثغره ، غافياً ،   لابقى ، سعيداً ، بما احلم

صافيتا — سوريا   محمود عباس

كبرياء الالم

خففي من انينك الجـ[illegible]ـاح   واخجلي من تجلدي يا جراحي
لم يبدل بؤس التعاسة افرا   حي ، ولا نال ايله من صباحي
انا مهما شقيت اقتات بالصبر   والقى معذبي . . . بالسماح
ابداً اساس الشقاء لايماني   واحسو الافراح من اتراحي
فامسحي يا يمين ربي دوائي   ودعي الكون ينتشي من صداحي
والازاهير ترتمي فوق الا   مي وشاحاً ، يا حسنه بالوشاح
هو عطر الربى رسول من الورد   المندى ، ومن زهور الاقاحي
انا ما ابكيت يبكي المدى الرحب   وتهتز من نواحي النواحي
واذا طفت في الحياة طروباً   سكر الكون من ثمالات راحي
انا احيا وكل دربي اشواك   وما حد وخزها من صحاحي
انا احيا ، لا الاهل للخير اهلي   لا ولا أصحب في الشقاء سلاحي
لم اثر باعثاً صراخي يأساً   انا لم اطو في المصاب جناحي
انا طير جناحه من خلود   الله والحب ، من دنى الارواح
فعذارى الخلود بين يدي   شعري سكارى ، تعب من اقداحي
والعصافير في الحقول تهاوى   جائعات تقتات من افراحي
وصبايا الاحلام تهفو نشاوى   حالمات ، تستقي الهنا من مزاحي
فاغضبي يا هموم لست ابالي   واعصفي يا جراح لست بلاحي

اتحدى الدنيـا اذا هي ثارت في عدائي، وامضت في كفاحي
ساذل الجراح حتى اراهـا ومضات الانوار في مصباحي
فاخجلي من جراءتي يا جراحي انت لن تسمعي صدى لنواحي

كامل العبدالله

نغم..

هنالك بين الالوان والاطلال ، أطل عليّ النور، فأيقظ فيّ موات الايمان

ايها النور، يا جناحي اذا ما جدف الكون ، من حوالي ، طرا
اشرب الوجد، من ينابيعك الابكار ، اندى من الغمام واطرى
ايها النور ، زد مآقيّ ازدد منك صفواً ، وأنطلق بك حرا
انا لولا سناك، ما انسرحت نفسي، ولا شمت في المتاهات مسرى
انت سر الحياة، تهفو له الآباء ، في مجده ، تبار كت سرا .
جذوة النور، جذوة الفرح الاسنى ، ملاذ اللهيف ايان امرى
مس وجهي شذاك، يا جذوة النور، ففي جبهتي تلاميع بشرى
كيف انا اكفر الحياة، والطافك تهمي، فتنشر الميت نشرا ؟
تلثم العين من ظلالك ، الوانا ، تهادى على صحاري عطرا
كل افق ، ظلاله برايك ، علته رياح حبي فخرا !
احتست خمرك المضمخ ، اكوان، وصلى لوجهك القفر شكرا
و كشفت السر الخبيء ، لمن ضل ؟ فأعيا روحاً وقلباً وفكرا
زد حنيني، يا نور، وانفح سمائي، من نضار الاشواق فنا وسحرا
انت صحوي ، ولو ترنح ايماني ، وطهري ولو تسربلت كفرا

حمص نصوح فاخوري

على الباب

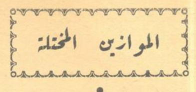
افتحي لي .. انا هنا اقرع البا ب، عظيم الرجاء ان تفتحي لي .
دميت قبضتي ، وبح ندائي تحت ستر من الظلام ، ثقيل .
والرياح الهوجاء تعصف في اذ ني وتعوي بلحنهـا المجهول
افتحي لي ، هـذا هو الخشب الاخرس يصغي للزائر المملول
اي ذنب جنيت يا فتنة العمر لترمين شوكه في سبيلي ؟ ! .
انا سخرت في غرامك ايـا ني ! وسورته بقلب قتيل ! .
وفرشت الورود في فسحة الكو خ ، وغيبته خلال الحقول . .
انصتي للرياح .. تدعوك تأ تين ، هيا .. تهيئي للرحيل .
لا تقولي : انا اخاف افكم قبلك انثى تحررت ! لا تقولي . .
لا تهابي الجبال ، نملك يوقا ها . وخلف الجبال دنيا السهول .
وثقي بي اني حيالك رب عبقري .. في عالم مستحيل !
افتحي لي .. الباب ضج من الدا عي، ومن قرعه الملح الطويل .
افتحي لي غداً سيستيقظ الكو خ ويصغي لهمسنا المعسول ! .
والصباح الجميل يلثم خديك ، فنحيا مع الصبـاح الجميل .
وكلانا في حضن صاحبه يغفو كطفلـين في سرير فضيل ! .
يا لعينيـك في عيوني ، مرآة غرام ، محـلق ، موصول ! !
فيهما تنطوي حياتي وآمالي ، واضواء سعدنا المأمول ! .
افتحي لي ! اني اخاف اذا ما عدت وحدي، اغوص بين الوحول
فخذيني اليـك تزدهر الار ض امامي، بالوارف المبلول .
دربنا زنبق ، وافياء واحات، فدوسي على ظلال النخيل! .
من فؤادي سقيتهـا .. فامرحي فيها وطيري على جناح الاصيل
انا لولاك .. تطلعت للنجم فكوني عبر الليالي دليلي ! .

اللاذقية شوقي بغدادي

اباطيل

هينمات من الاماني بواسم رددت لحنها بقلب مسالم
هدهدت صرخة الشباب المغني ثم ذابت في لجة المتلاطم
عيلم من مطامع وطموح غيضته من الخطوب عوالم
كم بنيت الآمال قصراً فقصراً ثم هدمتهـا وانفي راغم
ما ارى في الحياة الا سراباً يتمطى بين العيون الحوالم
نام حظي عن كأسه ونداماه فامست الحان عمري صوائم
انا في الكون حفنة من رماد نثرتها في الريح كف المظالم
يا دموع الوفاء في مأتم الحق اعيدي مـا رددته المآتم
كهباء الآمال سمّرهـا الريل فخارت لدى العقوق تسالم
كلما طاولت مناي الثريا ارجعتها للارض ايد غواشم
يا ندامى الاوهام حطمت كأسي وسكبت الدنان توبة نادم
لم يعد يلمع السراب بعيني وتزين الحياة احلام نائم
ايقظتني كف الحقيقة فانسل خفيفاً حلم بجفني حـائم
فرأيت الانام انفاس شيطـان تلظى والملهمين طلاسم
ورأيت الحياة ملهى اباطيل وان الغباء ارحم راحم

الموصل عبد الخالق طه



تجلس في مجتمع ادبي ، كل من فيه اديب له مؤلفات ومترجمات ومجهات طوال ، و كل مميز من السمار له معجبون ومقلدون . ثم تدور كأس الحديث ، فيتعاطاها الحاضرون جميعاً ، لا يشذ منهم احد ، ولا يرفضها احد ، ويكون محور النقاش ، كما هو متوقع ، حال الاديب في الغابر وفي الحاضر وفي الغد المجهول . وتجري على ألسنة الحاضرين اسماء لادباء معاصرين وشعراء مخضرمين وباحثين مدققين . ثم تصغي الى ما يقولون ، فيهولك ما تسمع .

ذلك ان ميزان النقد مختل على الاغلب ، لا يُجمل الحكم بعد انعام نظر وامعان تفكير ، بل يصدر قطعياً فجاً يدعو الى الدهشة ، ويستثير الغضبة .

فهذا يزعم ان شوقي ليس شاعراً . وذاك يدعي ان حافظاً لم يكن قط شاعراً ، وقائل يقول ان طه حسين ما كان عمره اديباً ، وآخر يؤكد ان سلامة موسى صفر على اليسار ، وسائل يسأل : من قال ان رامي شاعر ، ومن زعم ان احمد امين اديب ؟ ويقفز واحد من الجالسين فيقول : لقد ارخ عبد الرحمن الرافعي تاريخ مصر تاريخاً كله خطأ . .

ولو ان اولئك « القضاة » اصدروا احكامهم بعد روية وتفكير ، وبعد استقصاء وتحر ، وبعد مقابلة ومقارنة ، لقلنا : مرحى بشجاعتكم الادبية ، ونعم ما صنعتم لتوجيه النظر الى « خطأ شائع » وقع فيه الشرق قاطبة .

ولكن اولئك يلقون الكلام على عواهنه اما لضغن شخصي ، او لحسد كامن ، او لرغبة في قلب الحقائق ، او لقصور في النظرة الادبية ، او لاحتضار ما يسمونه « الضمير الادبي » .

ومن عجب ان مثل هذه الاحكام المطلقة العامة تجد سبيلها الى مجلات الادب ، فتنشرها مقرونة باسماء كاتبيها ، واذا شئت ان تتصدى بالرد ، حرمت هذا الحق ، او اوصد الباب في وجهك بحجة ان المجال لا يتسع للنقاش والاخذ والرد .

وهذه الظاهرة ليس لها مثيل الا في الشرق ، لان الغربيين يتوخون بقدر ما تسعفهم العدالة البشرية ، ان يكونوا حكاماً يتطلعون الى العدل حتى وان لم يبلغوه فيقولون : تلك مثالبه ، وهاته حسناته ، ورجحان احدى الكفتين على الاخرى يتحكم في ما يقررونه من رأي .

وما اقصد بهذه الكلمة ان اجرح أحداً ، ولا ان ادافع عن احد ، وانما مقصدي ان انبه الى ضرورة التأني في اصدار الاحكام ، فليس هناك من تسنم مرتبة الكمال ، وليس هناك من لا يخطىء ، وليس هناك من استطاع ان يستحوذ على مرضاة الجميع واعجابهم ، ولكن الامانة الادبية تقتضي ان نعطي لكل ذي حق حقه ، فنقول الرأي ونعززه بأسانيده وحيثياته وتفاصيله ، مقدرين لكل احتمال قدره ، حاسبين لكل شيء حسابه .

قد يقرأ صديقان قصة لكاتب معين ، فيقول الاول انها بلغت اوج مراتب الفن ، وينكفىء الثاني يجردها من كل صفة من صفات الادب وخصائص القصة وروائع الفن . وليس في هذا عجب اذا ابدى كل من الصديقين وجهة نظره معززة بالحجة والبرهان فلا ينتظر ان تتفق الاذواق الادبية وتتآلف المشارب الفنية ، وانما العجب ان ينتحي كل منهما منحى بدافع من التعصب المعصوب العينين ، فلا يقبل الصديقان جدالاً ولا يذعنان لمنطق المناقشة ولا يأبيان التخلي عن الرأي مهما تكن دوافع تكوينه . ويبلغ العجب منتهاه اذا ما عرف صاحب الرأي ان في رأيه شذوذاً لا يقره عاقل ، واذا استبان انه مخطىء سادر في الخطأ ولكنه مع ذلك يأبى الارتداع مؤثراً المضي في الضلال على العودة الى الحق .

هذا دليل على تعمد قلب موازين النقد وعلى الحكم مع سبق الاصرار ، ومعناه كما يقول رجال القانون الحكم في قضية قبل الاطلاع على تفاصيلها ، ومعناه في عرف الاطباء قتل المريض قبل تشخيص دائه . ولست ازعم بان مثل هذه الاحكام العارضة ستخلد على مدى الايام ، وانما اقصد ان التورط في الافضاء ببيانات من هذا اللون سواء في مجتمعات الادب او في دورياته . من شأنه ان يبلبل افكار النشء ، ويشكك القراء في مدى نزاهة حملة مشاعل النقد ، وبالتالي يدخل عليهم الريبة في مدى ما يستمتع به اولئك النقاد من امانة ادبية وذوق يطاوع المنطق السليم .

وهناك فرق بين حكم يصدر على اديب ، وحكم يصدر على كتاب بعينه من كتب ذلك الاديب . فالحكم الاول ينبغي ان يظل مطوياً محجوباً حتى تتم للباحث دراسة كل ما انتجه ذلك الاديب من اسفار ومصنفات ، دراسة موضوعية مجردة من الاهواء طبقاً للمنهاج العلمي السليم . ومتى اكتملت للباحث مقومات هذه الدراسة

قيمة الكلمة

ان للكلمة عند الانسان الحكيم، كما لها عند الامة الواعية، وزناً وقيمة، كالذهب والالماس او اشد، فهي صورة من خلقها وقوة طباعها، وعمق تفكيرها وعزة نفسها. ولكن الكلمة في نظر بعض الناس اليوم، لفظة من الالفاظ ترسل عفواً، قد تصيب مني وقد تحدث صوتاً فحسب.

لكن كلما اكتمل الوعي، وعمق الفكر، واحترمت النفس، اصبح للكلمة صداها وفعلها العجيب. لان هذه الكلمة، لا تخرج من الفم لتضيع مع الهواء، بل لتنزل الى القلب او لتحتل مكانها من الفكر اليقظ الذكي.

ومتى كان للكلمة هذا الكيان والقوة، ولها هذا الاثر، لا شك يصبح لها قدسية وجلال، ويصبح لها قدر ومقام، فلا ترسل جزافاً ولا تلقى عبثاً. ولقد رأينا اثر هذا في الامم وفي الافراد في ابان النضج والرقي، حيث يكثر التأمل ويقل الكلام، اذ تصبح الكلمة الواحدة نتيجة مجهود كبير وتفكير طويل وتأمل هادىء حكيم.

وليس هذا هو اثر الكلمة فحسب، بل اثرها في الاخلاق اشد واعظم، فهي تحد من نزوات النفس وتمسك بها عن الغلو والشطط، وتبعث فيها الكثير من الكرامة والعزة والاحترام. فالمرء عندما يتخلق بذلك لا يستطيع ارسال الكلام على عواهنه، ولا يمكنه الشطط والسخرية فهو يدرك التبعة ومدى خطر الكلمة فيحاسب نفسه عليها قبل ان يرسلها ولقد قيل في قديم الحكم: «من كثر كلامه كثر غلطه ومن كثر غلطه مات قلبه ومن مات قلبه فقد هلك».

والحكمة القائلة: «المرء باصغريه قلبه ولسانه» هي صورة رائعة لتلك النفس الكبيرة التي بنيت عليها الحضارة العربية التالدة، يوم كان للكلمة قدرها واعتبارها، وللنفس كرامتها وعزتها، ولذلك قال شاعرهم:

جراحات السهام لها التآم ... ولا يلتام ما جرح اللسان

وعلى ذكر الكلمة يستحسن سرد هذه الحادثة الطريفة التي تدل بجلاء على قيمة الكلمة عند الامة الناضجة:

جاءني في جملة من كان يتردد علي خلال الحرب من الانكليز واحد منهم وقد اخذ يتأمل ويدقق اللوحات مدة ساعة دون ان ينبس بكلمة، واخيراً التفت الي وهو يمد يده مصافحاً وقال: «اهنئك انك فنان» وبالطبع فانا شكرته، فما ان سمع شكري له حتى انتفض غاضباً وقال: «ولماذا تشكرني، انا لم اصانعك بل دفعت لك حقك» فابتسمت لهذا الكلام وانا افكر في قيمة الكلمة عند هؤلاء الناس طبعاً (السياسيين منهم) هؤلاء الناس الذين لا يقولونها الا بعد درس وتفكير ساعة ودون اية غاية سوى الحقيقة.

وفي هذه المناسبة الا نذكر اننا اكثرنا (يحلق) باحدهم وبشكره وله في معرفته دقائق معدودة، فيرفعه الى السحاب، ثم بعد دقائق يهوي به ايضاً الى اسفل الدركات، ولكن هي الاخلاق ...

مصطفى فروخ

ووسائلها ومعاييرها، اصبح في موقف يطوّع له ان يصدر رأيه على الكاتب متحملاً وزر هذا الرأي ان كان مخالفاً للمألوف.

واما الحكم الثاني، اي الذي يصدر على كتاب مستقل من كتب الاديب، فلا يصح تعميمه بحيث ينسحب على ما سبقه من مؤلفات وما قد يتلوه من بحوث، لان كل كاتب تتعاوره عوامل متقلبة، فقد تواتيه فتيسر عليه سبيل الاجادة، وقد تتنكر له فتسلبه التوفيق مرة في العمر او مرات. وبذلك يجب ان يقتصر الحكم على الكتاب وحده منفرداً مستقلاً ابقاء على سلامة المنهاج العلمي.

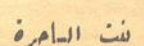
وهناك شعراء يكتبون القصة، فلا يصح الاقتصار على شعرهم عند ابداء الرأي فيهم كأدباء، وهناك باحثون يقرضون الشعر، فلا يحق الاكتفاء ببحوثهم للحكم عليهم حكماً عاماً، والقصيدة الواحدة قد تكون جيدة في مجموعها ولكنها مخلخلة في بعض فقراتها ومهمة الناقد ان يبين هذه العيوب بحيث لا يغلّب القليل الرديء على الكثير الجيد، ومجموعة الاقاصيص قد تشتمل على نماذج متميزة الروعة، وتشتمل في الوقت عينه على قصص دون المستوى الوسيط، فعلى الناقد ان يشير الى هاته ممتدحاً والى تلك منتقداً موجهاً.

وليعلم الناقدون ان القراء ذوو حساسية ادبية مرهفة، وقد ولى الوقت الذي كانت مهمة مخادعة القراء امراً يسيراً سهل المنال، واصبح الاستعداد للنقاش العلمي بين جمهرة القارئين اظهر من ان يستطاع اخفاء معالمه. فاذا قال قائل — كما حدث وكما يحدث — ان شوقي ناثر نثراً موزوناً، فالقراء ليسوا من الغباء والحماقة بحيث يهضمون مثل هذا القول مؤمنين مصدقين. واذا افترى مفتر بأن سلامه موسى قعد عن ركب النهضة الفكرية وتخلف في مضمارها فهو يغالط نفسه قبل ان يخدع سامعيه. واذا انبرى لنجيب محفوظ من يسلبه موهبة التأليف القصصي، فهو يغالط في افتراض سذاجة القراء. واذا هب متحمس يختلس من توفيق الحكيم مزاياه في الخلق والتأليف، فهو مختال بنفسه حاقد على عبقرية الحكيم. واذا زعم كاتب — مهما بلغ قدره — ان نقولا الحداد ليس عالماً ولا فيلسوفاً فهو مجانب للحق معتد عليه.

اعدلوا الموازين التي شاءت اهواء واحقاد ان تقلبها، واستفتوا الضمير الادبي الذي كثيراً ما تتعمدون قتله، وسايروا المنطق وحكموا العقل، واهتدوا بهدي قواعد النقد الادبي التي تزدان بمناهجها العلمي الصحيح.

القاهرة — وديع فلسطين





للدكتور عبد السلام العجيلي – ١٣٨ صفحة – منشورات دار مجلة الاديب

علق اسم عبد السلام العجيلي في ذهني منذ اكثر من سبع سنوات يوم قرأت له في صحيفة اسبوعية سورية قصة فازت بالجائزة الاولى في المسابقة القصصية التي اقامتها تلك الصحيفة. ولعل رسوخ تلك القصة في ذهني ، عائد الى انها انتزعت مقاماً كنت اطمع في ان تحتله قصة لي اشركتها في تلك المسابقة .. فلم يرد لها ذكر في حلبة المتبارين !

واذكر اني وقفت طويلاً امام قصة العجيلي تلك ، واذكر ان رأسي ثقل بها ، فشغلني التفكير بها ردحاً من الزمن. كانت جديدة في القصص التي قرأتها، وكانت تتناول اطرافاً من النظريات العلمية، تحيطها بجو من التخيل والتصور والتحليل ، فاذا القارىء يخرج من تلاوتها برواسب ثابتة في اعماقه ، رواسب من الفكر والخيال والعاطفة جميعاً، ليس من اليسير على الزمن – مهما تطاول – ان يمحوها ..

ذلك كان انطباعي الاول لدى قراءتي تلك القصة ، ومثله الآن انطباعي اثر قراءتي مجموعة الدكتور عبد السلام العجيلي « بنت الساحرة » .

فالجو الذي تغرقك فيه هذه القصص يصدي بقرقعة الآلات الطبية ، ويزخر بتطبيق النظريات العلمية ، ولكنه لا يخلو كذلك من اوهام التخيلات وتحليل العواطف . ومهما يكن من امر ، فانت لن تفلح في نسيان ذلك الجو او محوه ، بل هو يدعوك دائماً الى التفكير والتأمل .

ذلك هو الاثر الذي ينطبع في نفسك لدى قراءتك قصص « النوبة القاتلة » و« انتقام محلول الكينا » و« المعجزة » و« حمى ». فالاولى قصة قوية رائعة تعالج مشكلة علمية طبية نفسية في وقت واحد ، والحادثة فيها قوية بمفاجآتها ، وهي تكاد ترهق أعصاب القارىء برهبة الوقائع. و « انتقام محلول الكينا » من خير قصص الكتاب في التحليل النفسي العميق، وهي في الواقع مشكلة بسيكولوجية يعالجها المؤلف بكثير من التشويق والتوفيق ، وتمتاز بقوة عنصر المفاجأة فيها . و« المعجزة» قصة لطيفة ولذيذة بمغزاها وسردها ، وان لم تكن بقوة حادثتها كسالفاتها .

اما قصة «حمى» فجديدة حقاً في نوعها: مشاعر انسان وافكاره وتخيلاته وفقاً لدرجة حرارته. وهذه المشاعر والتخيلات تدور حول حبه لفتاة هي ابنة عمه يريد ذووه ان يزوجوها أخاه المريض.. اما هو فيتحدث عن هذا الحب بين ارتفاع درجة الحرارة وانخفاضها في حمى اصيب بها .. وهو في هذه الاثناء يهذي ويقوم ببعض الاعمال، او يخيل اليه انه قام بها، حتى لا يدري آخر الامر ، حين تنجلي عنه الحمى، اهو الذي قتل اخاه الذي كان ينافسه على حب ابنة عمه ، ام انه المرض قد اودى بأخيه ؟

وأجمل ما في هذه القصة ولا ريب غموض خاتمتها، وترك القارىء في حيرة من امره ، ومن معرفة حل العقدة .

***

على ان قارىء هذه المجموعة ، لا بد ان يتبين لدى المؤلف نزعة ظاهرة تكشف عنها عدة قصص، هي انه يحمّل الواقع والحياة اكثر مما يتحملانه، وان في قصصه من جسامة الحوادث واغتصابها قسراً ما يبعدها عن حس الواقع وحقيقة الحياة . ومما يزيد في قوة هذه النزعة وشدة ظهورها ، هذا الجو العلمي الذي يحيط به المؤلف حوادث قصصه ، حتى ليكاد القارىء يشعر بالتناقض بين نزعتين للمؤلف نحو العلم والخيال في وقت واحد ...

ودليل ذلك تجده في ثلاث قصص على الاقل من قصص المجموعة، هي « قطرات دم » و « آلام » و « قيام الموتى » .

« فقطرات دم » قصة فتاة تقدم على الانتحار من اجل صيانة قطرات دم نقلت الى جسدها من جسد شاب... ويفهم القارىء ان هذه القطرات قد انقذت حياة الفتاة فعلاً .. ولكن لا شيء في القصة يجعله يفهم ان هذه الفتاة قد احبت ذلك الشاب الحب القوي العظيم الذي يدفعها الى مثل تلك التضحية الجسيمة (الانتحار) لصيانة تلك القطرات من شرور التدنيس... ثم ان المؤلف لم يذكر السبب الذي من اجله اقدمت الفتاة على الانتحار ، وان كان القارىء يفهم « من بعيد» ان الفتاة لا بد قد تعرضت للخطيئة والدنس .. ومهما

يكن من امر، فان انتحار الفتاة عمل لا يتحمله « الواقع » وهو اقرب الى الخيال ، ما دامت لم تحبّ منقذها الحب الذي يدفع الى هذا العمل ، ان اهين .

ولا بد لي، ان اورد تلخيصاً لقصة « آلام » لأجلو هذه النزعة وان كنت اخشى كثيراً ان اشوه القصة بتلخيصها :

طبيب شاب يعتقد ان الحياة كلها آلام ، هي محورها الثابت ، وان اللذة والسعادة اطياف زائلة في جو حقائقه الشقاء والعذاب . اما عمه الطبيب الشيخ ، والد خطيبته ، فيناقض نظرياته . ثم ان الشاب يعتقد ان واجب الاطباء تخفيف آلام الانسانية ، ولكنهم لا يجرؤون على تنفيذ ذلك دائماً ، انهم لا يقدمون مثلاً على وضع حد لحياة مبتلى بالسرطان لا يرجى برؤه . . ويرد الشيخ الطبيب والد خطيبة الشاب متحدياً « : انتم شبان اليوم اجبن من ان تعملوا بما تعتقدون » . . . عبارة تذل كبرياء الطبيب الشاب، وتحز ضميره!

ثم يتبين ان خطيبته مصابة بالزائدة ، فيتهيأ لاجراء عملية الاستئصال ، وهنا تعاوده عقيدته ونظرياته في الحياة : ان خطيبته تتألم ، وانه لن يفعل الآن الا ان يسكن نوبة من نوبات آلامها ، اما الداء الذي الالم من اعراضه، « فسيشق له هو بمبضعه افقاً جديداً يستفحل فيه ، ستقوم من تحت مبضعه لتحيا وليتزوجها ولتحمل منه فيهدي اليها ينبوع ألم جديد . . » ومع ذلك فانه يدعي حبها .

وهنا يبرهن الطبيب الشاب ان اهمالاً يسيراً في اجراء العملية يودي بحياة خطيبته . . ويجري العملية ، وتموت الخطيبة !

ثم يظهر ان عمه والد خطيبته مصاب ، هو الآخر ، بسرطان المعدة . . وهو يأبى ان يجري عملية ما ، طلباً في ان يتعذب ويقضي بالالم ، بعد ان فقد ابنته ويئس من الدنيا ، وهو يأبى على خطيب ابنته السابق ان يجري له عملية الا بعد ان يوحي له بان يقطع شريان المعدة في العملية .

ويموت الطبيب الشيخ ايضاً بعد اجراء العملية . . . ويخلو الشاب الى نفسه يتساءل : ماذا بقي له من الحياة ؟ ولا يجد اخيراً الا ان يعزم على الانتحار بان يقطع شريان زنده بالمشرط . . ولكن سن المشرط يتقاعس حين التنفيذ ، ويأبى ان يسير على الحياة النابضة في الزند المكشوف . . ووهى عزم الطبيب الشاب، وسقط المشرط من يده ، فراح يبكي بكاء مريراً؟ . .

هذه هي قصة « آلام » ، وهي كما يرى القارىء رائعة غنية باعماقها النفسية والفكرية ، ولكن ليتأمل قليلاً في وقائعها : أليست هي محملة باكثر مما تطيق الحياة ، من قسوة وبشاعة وقبح ؟

اليس نوعاً من الخيال ان يطبق الطبيب نظريته تلك في الحياة على احب الناس اليه : خطيبته ، وآثر الاصدقاء اليه والزملاء : عمه الطبيب ؟ ان المؤلف لم يقل ان الطبيب قتل خطيبته وعمه ، ولكن ذلك واضح لا شك فيه ، اليست هذه فظاعة غير معقولة ان يهمل في عملية خطيبته ما من شأنه ان يودي بحياتها ، ويقطع شريان المعدة في جوف عمه ليموت ؟

لقد انهى المؤلف قصته بخاتمة تختلف كل الاختلاف من وقائع الحادثة . . خاتمة طبيعية واقعية رائعة تدل على الصدق في الرواية عن الحياة . . عجز الشاب عن ان يؤذي نفسه، وجبنه عن ان يضع حداً لحياته ، رغم شدة ايمانه بنظريته واعتقاده . . افليس في هذين الموقفين تناقض ومفارقة واضحة بين نزعة للخيال ونزعة للحقيقة ؟ لقد كانت تلك الحادثة تكون اقرب الى الواقع وابعد عن الوهم لو ان الطبيب حاول ان يطبق نظريته على غير خطيبته وعمه، وتبقى القضية مع ذلك موضع شك واستفهام . .

اما قصتا « قيام الموتى » و « الضفادع » فهما مجموعة من الخيالات والاوهام والاشباح لا تساغ ، وليس من شأنها الا ان تعزز ما ذهبنا اليه .

بقيت لنا ملاحظتان على قصتي « ميراث » و « بنت الساحرة » في الحديث التفصيلي عن كل قصة . فالاولى قصة جميلة بمغزاها ومرماها ، ولكنها ضعيفة من حيث الفن القصصي ، وهي في سردها ، اشبه بجهد صحفي سريع ليست فيه عناية الفنان القصاص .

واما « بنت الساحرة » فقصة جذابة بحادثتها وسردها وسلاستها وهي من هذه النواحي تأتي في الطليعة ، ولكن ضعفها في خاتمتها، اذا قيست هذه الخاتمة بخواتيم سائر قصص الكتاب التي هي في الحق « ضربات » معلم موفقة . . فان القارىء يخرج من هذه القصة وهو يطلب المزيد ويستشعر الضيق والحيرة .

***

وبعد ، فقد وقفت على ملاحظة اتى عليها غير كاتب واحد ممن تناولوا هذا الكتاب بالنقد او التعليق، هي ان المؤلف لا يكاد يخرج من نطاق محدود في طرق لون خاص من الوان المواضيع بقصصه، هو اللون العلمي الطبي التحليلي . وهذه ملاحظة في محلها، ولكننا لا نرى فيها مأخذاً كما رأى بعضهم ، فالمهم في نظرنا ان يجيد الكاتب في الميدان الذي يدخله، وقد اجاد الدكتور العجيلي ولا ريب في هذا الميدان ، بل لعله بين قصاصي العرب المحدثين القصاص الوحيد الذي استثمر هذه المنطقة من مناطق القصص

الشاسعة . وما دام هو طبيباً ، فان خير ما يعالجه في قصصه الوقائع التي يشهدها او يحياها ، وليس مطلوباً في القصاص ان يكون « دائرة معارف » ولا ان يعالج من مشاكل الحياة ما لا يشهد ولا يعيش .. ولا يحق للناقد في رأيي ان يعير كاتباً بالتقصير اذا لم يطرق موضوعاً بعينه ، وانما يحق له ان يعيره بالتقصير اذا خانته الاجادة في طرق هذا الموضوع . فلا نطلبن من قصاص ان يعيش حياة سواه ليرضي نزعات القراء المختلفة ، ولكن هذا لا يعني اننا نطلب منه ان يظل في ميدان واحد اذا تبين لنا ان بوسعه ان يدخل ميداناً آخر ويجيد فيه .. ونحن اذ نتمنى على المؤلف الآن ان يعالج ، الى القصة العلمية الطبية القصة العاطفية التحليلية ، فلاننا على يقين من ان بوسعه الاجادة ، كما دال على ذلك في قصته « بنت الساحرة » وسواها .

***

واذا كان لا بد لنا اخيراً من كلمة في اسلوب المؤلف ولغته ، فهي انه اسلوب صاف متين رائق لا تنقصه جزالة ، ولغته سائغة جميلة لا تعوزها قوة ، وهو الى ذلك بارع في التحليل النفسي والوصف الدقيق ينفذ بهما الى اعماق النفس . على اننا قد وقفنا على بضعة اغلاط نحوية وصرفية ولا سيما في قواعد العدد والهمزة ، سيعنى المؤلف بازالة امثالها ولا ريب في انتاجه المنتظر .

***

وبعد فان الدكتور عبد السلام العجيلي قصاص سوري جديد تكسبه القصة العربية الحديثة وتأمل على يديه ويدي زملائه من كتاب القصة في سورية قفزة ابداع وخلق وابتكار ، قفزة الى الامام بالقصة الفنية الراقية تقيم لها كياناً خاصاً في دنيا القصص العالمي .

سهيل ادريس

مباحث عراقية في التاريخ والجغرافية والآثار وخطط بغداد

للاستاذ يعقوب سركيس – ٤١٣ صفحة – بغداد

حضرة الاستاذ يعقوب سركيس بغدادي سليل اسرة سركيس الشهيرة في عراقنا العزيز ، وهو اليوم عميدها الجليل . ولشدة حبه لوطننا المفدى قد اولع منذ سن الشبوبية بكل ما يعود الى تاريخه وجغرافيته وخطط مدنه وآثاره القديمة ، ولا سيما بغداد مدينة السلام وعاصمة العباسيين .

ولبلوغ هذه الغاية ، قد سعى فتوصل الى انشاء خزانة كتب في داره العامرة ، جمع فيها كل نفيس من المطبوعات والمخطوطات للمؤلفين العرب والمستشرقين ، مما جعل هذه المكتبة حرية بان تسمى « الخزانة العراقية » لاحتوائها على اجل واندر الاسفار الباحثة عن العراق القديم والعربي .

وما زال الاستاذ منذ مدة مديدة يبحث وينقب ويدقق في شتى المواضيع المهمة ، ناشراً نتائج تقصياته بشكل مقالات متنوعة ظهرت في مجلات وجرائد كثيرة ، ولا سيما في مجلة « لغة العرب » لصاحبها فقيد العراق والعرب والعربية ، الاب انستاس ماري الكرملي السعيد الذكر . وكان السيد يعقوب سركيس قد آلفه وباحثه وآزره مدة طويلة .

وفي هذه الآونة قد نزل الاستاذ عند رغبة والحاح الاصدقاء والمعجبين بعلمه والمقدرين جهوده في سبيل الوطن فجمع كل ما نشره من المقالات القيمة في مجلة « لغة العرب » ، وضمنها هذا السفر المعنون « مباحث عراقية » .

والشخص الجليل الذي كان في طليعة ادباء العراق المقدرين علم الاستاذ سركيس فتفضل بتقديم تأليفه الى العلماء وجمهور المثقفين ، هو ذاك العراقي الكبير العلامة محمد رضا الشبيبي وزير معارف العراق سابقاً ، وعضو المجمعين اللغويين المصري والسوري ، ورئيس المجمع العلمي العراقي ، الملتف حوله ، كاعضاء للمجمع ، نخبة من علماء العراق الاجلاء ارباب الاختصاص في مختلف العلوم العربية والاجنبية .

فنحث جمهرة المثقفين في عراقنا خاصة ، وفي بقية البلاد العربية على اقتناء هذا السفر ومطالعته مطالعة تأليف عالم محقق ، بارع في اختصاصه ، وساع وراء الحقيقة العلمية بامانة واخلاص ، فلا يبدي رأيه الا بعد قتل الموضوع بحثاً وتعميقاً مما يجعل قوله حجة .

هذا وقد ورد في مطلع كتابه انه اهداه : « الى روح العلامة اللغوي المرحوم الاب انستاس ماري الكرملي ذكرى خدماته الجليلة للغة الضاد » فقد احسن المؤلف بهذا صنعاً ، اذ جاءت الهدية لائقة بالمهدي اليه . لكن ليسمح لي الاستاذ سركيس بالقول – وان جرح قولي تواضعه وزهده في المديح والشهرة – انه ان كان هو قد انتفع بعلم الاب الكرملي الزاخر ، فانا على يقين ان الاستاذ المرحوم قد استفاد منه بدوره في امور كثيرة خفيت عنه معرفتها .

ثم ان كان علامتنا الراحل قد فاق بغزارة المادة ، وخصب الانتاج الفكري ، فان وطنينا وصديقنا الكريم السيد يعقوب سركيس مزدان ، من الناحية العلمية والخلقية ، بمزايا حميدة فريدة ، منها التروي في التقصيات وعدم التهور في الاحكام ، والابتعاد في ميدان البحث عن التخيلات والمغالاة والتحلي بالنبل والانس والدماثة في

العلاقات الاجتماعية .

واذا انا مثن على عمل الاستاذ العلمي، اتمنى له ان يتمكن من نشر الجزء الثاني من ابحاثه الممتعة مع الباقي من مقالاته المخطوطة، لكي يستمد من منهلها كل محب للعلم وساع في خدمته .

القدس — الاب مرمرجي الدومنكي

عيد الغدير

للاستاذ بولس سلامة — ٣٢٠ صفحة — مطبعة النسر — بيروت

القول في عيد الغدير قولان : واحد في الجراح، وواحد في سعادة الشعر . وما كانت الجراح الا منافذ الشاعر الى ذاته، ومنافذ الذات الى نعيم الجمال . بولس سلامة يتألم ويعتزل : يتألم ليحيا ويعتزل ليخلق . تطل عليه في غرفته الوادعة، فيبسط ذهنك ترفاً وحلاوة منطق، وتغوص على نفسه فيغيض مرحك، وتكاد تشهق في حضرة الالم . . الالم واحد في الجوهر ولكن التألم موهبة . ذلك لانه من طبيعة الالم ان يخلق ويعزي ويعلم . فلا عجب، اذا راح بولس سلامه، في هنيهات صحو الخاطر، يتنقل على رياض الشعر من واحة الى واحة، من علي والحسين الى فلسطين الى الامير بشير الى عيد الغدير .

والمؤلف هذا حدث وفتح :

حدث لانه تاريخ في حلة النغم . والتاريخ مرتكز المجد، وعنوان الوثيقة الى امام . يحبه الفرد، لانه فلذة من انسانه ويصهره ليبني عليه انسان المستقبل . فكيف به اذا كان شعراً ؟ اليس الشعر افعل إداء من النثر، واحفز الى بناء، وادعى الى اعتزاز؟ هذا، الى مرونة في الشعر اسلس اقتبالاً واغنى عطاء .

وفتح لانه ملحمة . والملحمة في عرف القومية، تشيد بالابطال، وتؤله البطولات، وترقى بانسان الامة الى الخير . اليس هوميروس مربي اليونان ؟ اليست الالياذة شرعة النهضة الاغريقية ؟ اليس أخيل علم التضحية والاقدام على الجلى ؟ اليس « اوليس » قدوة المحنكين في معمعان السياسة الفاضلة ؟ وماذا يقال في الانياذة سجل المجد الروماني ؟ وفي المهزلة الألهية مرآة العصر الوسيط ومنتهى التعبير عن عظاته ؟

اما العرب، فليس لهم، على فتوحاتهم، ملحمة . وما كانت عيد الغدير الا لتسد فراغاً في ادب، وتختصر جلالاً في قومية . اساسها العرب، ومحورها البيت الهاشمي . والهاشميون سراة القومية واساطين الدين . منهم محمد بن عبدالله موحد العرب وخاتم الانبياء، ومنهم علي امام التقي، وعنوان البطولة والاخلاق .

يستهل الشاعر ملحمته بلوحات صافية عن النفس الجاهلية الضاربة في معارج التفرقة والبغض وعبادة الاوثان . ثم ينتقل الى الاسلام، فيتغنى برسالة محمد في مظهريها : السماوي والقومي . وعملاً بروح الملاحم يصور المعارك التي نشبت بين انصار العهد الجديد وخصومه .

وهنا يتدرج في نمط الصياغة الملحمية فيركز قصائده على دعامتين : القصة والتصوير الحربي . فاذا أنت ترافق الشعر دون ان تأخذك بهرجته فتنسى طوية السياق . اليست احدى خصائص الملاحم ان تعنى بالشعر والقصة على حد سواء ؟ هذا، فضلاً عن الاحتدام الذي لا ينقطع خيطه . فالمعارك تتوالى عنيفة في جلباب من الصور الملونة العميقة الوقع . ولم يغفل بولس سلامة عن « البطل — مدار الملحمة » ذلك لان شخصية البطل ركن من اركانها . فعلي في عيد الغدير كأخيل في الالياذة واينه في الانياذة ومن الطبيعي، والبطل علي، ان يتطرق الشاعر الى مآتيه ومآتي ولده الحسين، مجسداً بطولات البيت العلوي وعطف النبي على زوج ابنته .

وفي النهاية، ان عيد الغدير مجهود جبار : بمقياس الشعر، وبالنسبة الى صاحبه المريض الذي، انما يتطلع الى الدنيا من نافذة بيته، ويرود الابعاد بامله وخياله .

خليل صابر

الموجز في الادب العربي

للاستاذ عيسى ميخائيل سابا — ٢٨٥ صفحة — منشورات مكتبة صفير — بيروت

يوم تلح رغبة الانسان في اكتناه رسالته وتتأب جهوده بحثاً ودراسة وتنقيباً، ويرهف فيه الشعور بالحاجة الى العطاء، فيفتح اعماقه لتستوعب ثم تفرغ مختزنها راضية عن البذل، اذ ذاك تكتمل مهمة التعليم في المعلم .

وبهذه الضرورات المتتابعة سعى الاستاذ العالم عيسى ميخائيل سابا، صاحب الموجز في الادب العربي وهو عطية جهد تضاف الى معين عذب يستنفد النشء جناه العلمي بين التاريخ والقراءة المحكمة والقصص الشائق، وكأني بالاستاذ المجتهد سابا يقف معظم حياته التربوية على افتقار الحاجة عند التلميذ، ومتى عثر عليها حفزته العزيمة الى سدها بشبع علمي كاف، والبينة على ذلك سلسلة من كتب التاريخ والتحفة المدرسية ومروج الاحداث وغيرها .

وهذا الموجز الجديد لا تقاس قيمته الا بقدر الحاجة اليه، ونحن نعلم ان كتب الادب التي تدرس حالياً قد وضعت للصفوف العليا، اما الصفوف الدنيا فكان لها ان تنتظر من يسهل مأخذ الادب وتاريخه فاذا ما تمنته تجدها وقد نالته . وقد حرص المؤلف الاديب

على سلامة الايجاز وخير الكلام ما قل ودل ، فمعلوماته المذكورة روضة حافلة باطايب الثمار اليانعة ، يتنقل فيها الدارس مدارج متتالية ، فيقف على شيء من تاريخ الشاعر والناثر واثرهما منحدرين عن ميزة العصر الرئيسية ، وقد ذلل صعوبة الفهم في مادق واستوحش من الكلام بشروح تلي المعنى ، ولعل هذا الموجز وحيد في محتوياته الجديدة التي انفرد بها وفقاً للبرنامج الرسمي ، بعد ان حرم النشء سحابة مدة طويلة الاطلاع على جبران والريحاني وصروف وغيرهم من دعائم النهضة العصرية واجوائها المنفتحة على العالم ، وجملة القول : ان الموجز ذخر وفر وقليل يهب جماً ، والغنم للآخذ والفضل لمن اعطى .

جوزف نجيم

تآليف جديدة للاب مرمرجي الدومنكي

١ — هل العربية منطقية ؟ — ١٦٠ صفحة

مما يلاحظه* كل متفرغ لدرس اللغة العربية هو ان معجميتها ، مع غزارة مادتها وكثرة ما وضع فيها من الاسفار قديماً وحديثاً ، لم تصل بعد الى الدرجة الكاملة التي بلغتها معجميات اللغات الاوربية في عصرنا . اذ ان معاجمنا مشوبة بنقائص عديدة ، منها انها ليست بمنظمة تنظيماً ينطبق على طبيعة الاشتقاق المعنوي ، والتسلسل المنطقي « فلا هناك دقة في التحديد ، ولا وضوح في الشروح ، ولا تناسق في الالفاظ ، ولا تناسب في المشتقات ، ولا تتابع في التطورات » .

الاستاذ العلامة الاب مرمرجي من اللغويين المتخصصين بالمعجميات وقد نشر سابقاً كتاباً عنوانه « المعجمية العربية على ضوء الثنائية والالسنية السامية » . وها هوذا قد اشفعه بسفر ثان ، متوخياً فيه لما كان قد قصده من سابقه ، اي السعي في تلافي هذا الخلل ، خلل اللامنطقية في المعجمية العربية . ووسيلته هي بدء الاشتقاق لا من المادة الثلاثية بل من الاصل الثنائي ، ومقارنة الالفاظ العربية بما ينظر اليها من الكلم في بقية الالسن السامية .

بالحقيقة ان جميع المفردات المطروحة للبحث في هذا السفر يظهر فيها التضارب والتنافر لا بل التضاد ، في حللها الثلاثية المبسوطة في المعاجم ، وتتجلى فيها المنطقية اي التلاحم والتناسق المعنوي بين الالفاظ الاصلية ومشتقاتها ، حين يؤخذ في البحث فيها من الاس الثنائي .

والاستاذ مرمرجي من العلماء النادرين بين ابناء العربية المبرزين في هذا الميدان ، لوقوفه حق الوقوف على اسرار اللغات السامية ، وتخصصه للمقارنة الالسنية فيها . ولذا ينجم عن ابحاثه وتقصياته العميقة نتائج مهمة عائدة على العربية ومعجميتها بالفوائد الجمة ، يخلق ان يستفيد منها المشتغلون ، داخل المجامع اللغوية وخارجاً عنها ، في وضع معاجم مستوفاة الشروط العلمية العصرية .

٢ — محاضرات مختارات — ٢٥٠ صفحة

هذا كتاب ثان للاستاذ الجليل الاب مرمرجي . اذ انه ليس من المتخصصين المتضلعين باللغويات والالسنيات السامية وحسب ، بل هو من الخطباء والمحاضرين المصريين الواقفين على العلوم اللاهوتية والفلسفية والاجتماعية .

وما هذه الطائفة من المحاضرات سوى امثلة على شتى المواضيع التي طرق بابها من علو المنابر ، منابر الخطابة التي زاولها مدة سنين عديدة ، في الاندية والاجتماعات الرسمية . وكل هذه الخطب تنم عن قريحة وقادة ، وفكر ثاقب ، وعلم واسع . وجميعها مستندة الى البراهين العقلية ومبسوطة طبقاً للاساليب المنطقية . وقد حررت بانشاء عربي سلس متين . فهي حرية بان يطالعها لفيف المثقفين الراغبين في الاطلاع على الحقائق الضرورية معرفتها في الحياة العقلية والادبية والاجتماعية .

٣ — بلدانية فلسطين العربية — ٣٠٠ صفحة

هذا الكتاب هو الثالث من تآليف الاب مرمرجي الحديثة . قد وضعه خدمة للبلاد الفلسطينية في هذه الايام العصيبة . كثيرة هي التآليف المبحوث فيها عن فلسطين في شتى اللغات ، وعلى تعاقب العصور ، وذلك لرفعة مقامها الديني . وقد كتب عنها العرب في كل زمان منذ عهد الفتوح . بيد ان ماوضعوه متفرق في بطون اسفار عديدة وضخمة ، يتعذر على الكثيرين اقتناؤها ومطالعتها . وعليه قصد الاب الاستاذ جمعها وتنظيمها حسب الابجدية . وبموجب النظام التوقيتي لمصنفات المؤلفين التي اقتضبت منها النصوص المجموعة ، وبغية تعريفها وتعميم فائدتها بين الاجانب المشتغلين بالدروس الفلسطينية ، وقد ترجم الاستاذ هذه النصوص العربية الى اللغـــة الفرنسية وهذه الترجمة مزمعة ان تنشر في باريس . وقد جاء هذا السفر بمثابة معجم بلداني وتاريخي قريب المتناول لجميع الباحثين عن فلسطين ، وعن تاريخها ، ووصف مواقعها . وهي والحق يقال ، خدمة جلى تذكر فتشكر ، اداها الاب الجليل في الحقل العلمي لفلسطين . اذ ان هذه النصوص المجموعة في مختلف كتب المؤلفين المتعاقبين طوال هذه القرون الكثيرة لاسطع دليل ، واقوى حجة على تأريخ هذه الربوع العربي المتواصل . فيجدر بسائر المثقفين في بلادنا العربية ان يطالعوا هـــذا السفر الثمين ، مستمدين من مضامينه الفوائد الجمة ، لمواصلة خدمة الاراضي المقدسة .

* هذه الكتب الثلاثة الجديدة ورابعها « المعجمية العربية » من تصانيف الاب مرمرجي يمكن الراغبين في مشتراها ان يطلبوها في لبنان من حضرة الخوري برنار مرمرجي ، في جونية .

جولة الأديب في شهر

الياس خليل زخريا

☆

تلقينا بـالبريد الجوي من الارجنتين عدداً من جريدة السلام الغراء وفيها احاديث شتى عن رفيقنا وصديقنـا الاستاذ الشيخ الياس خليل زخريا بمناسبة وصوله الى الارجنتين فرأينا ان ننقل بعضها الى قراء « الاديب » مع اعـادة نشر الرائعة الادبية « على زصيف المرفأ »

☆

هبط الاستاذ زخريا هذه العاصمة بلا طبل ولا زمر كالبنفسجة المتواضعة الحاجبة رأسها بين الاوراق . ولكن عطر البنفسج ينم عليه ويفضح مكانه . ولو علم الشيخ اننا احوج مـا نكون لمثل هذا العطر تلطيفاً للانفاس الموبوءة المترددة في محيطنا لما ضن علينا بنشره ولهز من عزلته الاختيارية لكي يؤدي مهمته الروحية السامية !

ايتنكر امير القلم لاماراته وينتقض سيد الحرف على مولاه ؟ ان ثورة الغضب ساعة . وثورة الادب الى قيام الساعة !

قال لي صديق من الصحافيين زار الشيخ زخريا « لو وضعنـا ادب جميع كتاب الارجنتين في كفة وادب الشيخ زخريا في كفة لرجحت كفة الشيخ . . »

فاجبته بقولي :

وليس عـلى الله بمستكثر ... ان يجمع الآداب في واحد

واني اقول لمن يحسبني مغالياً في حكمي خذ مجلة الاديب عدد شهر تشرين الثاني ١٩٤٨ واقرأ افتتاحيته بعنوان (على رصيف المرفأ — احمل قلبي على يدي واسير) تعرف من هو الشيخ الياس خايل زخريا وما هو ادبه .

هذا المقال الذي ودع به عاصمة لبنان هز الاوساط الادبية في كل قطر عربي وادمى النفوس الابية في كل مهجر . قـال عنه الاستاذ البير اديب :

« صرخة دامية هي صرخة كل اديب في المدينة العربية . يعطي روحه غذاء لابناء امته ويبيت على الحرمان » .

وعلى اثره كتب الاستـاذ سعيد تقي الدين اصاحب المقـال :

« لو اعطي لي ضمانة الابداع بمثل هذا النثر لمـا ترددت في ان اقف على رصيف المرفأ ثانية » .

بهذه القطعة الادبية الرائعة نزين اليوم صدر السلام ونجعلهـا وسيلة تعارف بين كاتبها وبين القراء من ابناء الجوالي العربية . وكفى بيان الشيخ زخريا تعريفاً عنه يغنينا عن كل بيان . ثم نجعل مسك الختام تحية شعرية وجهها اليه صديقنا الشاعر جورج صيدح وقد وصلتنا اثناء احتجاب السلام فتأخر نشرها واننا نضعها امام انظار المواطنين لعلهم يقرأون بين سطورها صورة الواجب الذي تفرضه عليهم اللياقة وحسن الضيافة نحو الاديب النـابغ الشيخ الياس خليل زخريا .

الى الاديب المغترب

الشيخ الياس خليل زخريا

☆

يا حاملاً في يديه قلبه العاني ... ما انت اول مفجوع باوطان
كم وقفة في (رصيف المرفأ) انسحقت فيها القلوب على صمت واذعان
لكن شكواك تنزيل صدعت به ... من عالم الروح في محراب اوثان
اطلقتها صرخة شعواء دامية ... اجهزت فيها على آمال ظمآن
ان الجراح التي استلهمتها كتبت ... ما ليس يكتب الا بالدم القاني
ودعت موطنك الجاني عليك فلم ... اشفق عليك كاشفاقي على الجاني
بيروت، ان نفر الغربان بلبلها ... فما لنزّاحها عود الى البـان
ارثي لكفك، قدناءت بما حملت : ... قلب الاديب وفيه قلب لبنان !

***

رب الجناحين من خلق ومن ادب ان ضاق روضك ما ضاق الجناحان
لك الفضاء! فدع للارز ريشهما ... وطر بعظمها للعـالم الثاني
الشأن شأنك ، والاوطان تعرفه هل في المهاجر من يعنى بذي شان؟

جورج صيدح

على رصيف المرفأ

احمل قلبي على يدي واسير لقد تركتنا المدينة العربية غرباء على ابواب السور مشردين عند مطاف الهيكل نشتم من البعيد دخان المباخر وانفاس النبيذ ورائحة القرابين .

احمل قلبي في مدينة عابثة هازئة تدوس على الواح القلوب ومطالع الجباه وتقدس في الابتهال الجماجم الخفيفة التي ملأها الزمن باكداس الاوهام واشباح الغرور .

.. امضي اشق بجناحي اجواز الفضاء وآفاق العباب ووحشة الاجمات البعيدة لا كرهاً بالتراب الطيب الذي نبت فيه ولا بغضاً بالشمس اليقظى التي سكنت اربعين خريفاً في ابراج اضوائها الكثيفة ولكن، ولا قل دوننا وجل، هرباً من هذه الجماجم، جماجم الكهان الذين اضاعوا رقة السمع ودقة البصر وعبقرية الكلمة ونبل الرجولية وشمم انوف وروح انسان يعرف في التأمل قدر انسان على عظمة الاكبار لا رحمة الشفقة .

والمدينة التي تسقط فيها قيمة الانسان مثلنا ويصبح في ولاية العيش في كنف الانسان العادي المغتصب الذي لا يصلح ليكون من فواصل الكلمات في بيانه ولا من حبات البخور في مجامر ايمانه مدينة عابثة هازئة نزلت بها وبنا النكبة وسيطرت على مقدساتها الفرغاء، وانحطت قيم الفكر المبدع لتختلج القلوب الواعية اختلاجها المضني وهج الغصات وانين الجراح الدامية .

والغربة صفة من صفات الرجولية والانتقام يعلن فيها اصحاب الاشرعة والزوارق ومسالك البحار ان المرفأ البشري الذي رسوا فيه مرفأ عكّر البحارة ماءه لا زرقة تحلم لا اعماق تسخر لا رصيف مطمئن يرسل من فم المنارات اشعة الهداية .

احمل قلبي على كفي وامضي .

ايها الخافق بين جنبي سافجر من جنبيك الدم اسقي به في كل واحة الطيور الغريبة والاغصان الغريبة والاشواك الغريبة والشواطىء الموحشة الغريبة والنخيل، النخيل الذي احببنا اسمه وساقه وغصنه وتنزل في ضميرنا تنزل الكلمة فهد لنا في واحاتنا يوم العيد اصابع الشوك يدمي مقلنا ويخدش وجوهنا ويعلمنا ان نخرج من بيوتنا كروروس الافاعي في لهب الغيظ .

لم نولد جبناء ولكننا تعلمنا الخوف وصرنا في الاسراء نظن اشباحنا اناساً يتحركون وقطاع طرق يعيشون . وخفنا من ان يصبح الجبن طبعاً في طبيعتنا . ليتنا لم نعط ... الهبة نكبة .

واشد ما يؤلم انك وانت تبحر او ترسو تحمل قلبك في قبضة يدك القاسية المتمردة تريد ان تضرب به وجه القدر لا وجه الجبناء .. والعفو وداعة من شيم الاقوياء .

المدينة العربية مدينة من غير ابداع ولا ايمان تكره البحر لانه دائم الحركة، والصحراء لانها دائمة الحركة، والنور لانه ايضاً دائم الحركة، وتحب ليتك تعرف ما تحب جماجم الطواويس وألسنة الجداجد وجباهاً تمسح بالعتبة واجفاناً تتمرغ في المدارج وقلوباً من غير ضمائر وضمائر من غير حناجر وحناجر من غير الحان والحاناً من غير روح وروحاً من غير عسس وعسساً من غير سلاح وسلاحاً من غير اخوة .

احمل قلبي واسير .

اقول للينبوع تدفق من ضلعي الشمال وللنسيم تهدل من ضلعي اليمين وللغصن ولكل غصن مل على الفجر ينبت فيك الربيع .

لن اشرب بعد اليوم حبة ماء من تراب وطني لن اكحل عيني بعد اليوم بذؤابات شمسه الصاحية ، لن اسمع هذا البلبل المبكر يرتل على نافذة بيتنا الاخضر . صدئت ادوات المحبة .. خشنت اصابع الحنان كل شيء في المدينة العربية قاتم ما اشبهها بالمقابر الواسعة التي يعيش فيها على اشباح الجماجم وعناقيد الدوالي الثعالب الجائعة .

شرّع رتاجك ايها المرفأ الموحش اننا نريد ان تمشي ان نقذف وجوهنا في وجوه البحر العميق الموحش لقد سدت امام اعيننا في وطننا مطالع الجبال ومساقط الثلوج ومسالك الجوزاء النائية .. فلنبحر ما دمنا غرباء .

الياس خليل زخريا



٢٣ شباط ١٩٤٩ – وقعت اتفاقية الهدنة برودس بين المفاوضين المصريين واليهود .

– اصدر وزير القوات المسلحة السوفياتية امراً يومياً الى الجيش الروسي دعاه فيه لان يكون على استعداد للحرب ما دامت اميركا تبغي السيطرة على العالم .

– قررت دول اميركا اللاتينية طرح قضية مندزنتي على الامم المتحدة .

٢٦ – اصدر رئيس الوزارة المصرية بياناً بعد توقيع اتفاقية الهدنة الدائمة اكد فيه ان الاتفاق لا يتعرض لمستقبل فلسطين السياسي .

٢٦ – بدأت حامية الفالوجة المصرية بالانسحاب الى الاراضي المصرية .

– اطلق سراح عدد من زعماء الجمهورية الاندونيسية .

– ناشد رئيس اساقفة نيويورك الامم المتحدة اعادة اللاجئين العرب لفلسطين ، قائلاً ان تشريدهم جريمة ضد الانسانية .

٢٨ – صدر بلاغ رسمي في لبنان عن اجراء المفاوضات بين لبنان واليهود في رأس الناقورة .

– عين احمد خشبة باشا وزيراً للخارجية المصرية بدلاً من السيد دسوقي اباظة باشا الذي عين وزيراً للمواصلات .

١ آذار – ابتدأت المفاوضات الاردنية اليهودية في رودس وستتناول الابحاث وضع القدس ووجود البريطانيين بالعقبة .

٢ – عاد الجنرال مارشال الى الجيش الاميركي .

٣ – ايد الشيوعيون في الولايات المتحدة والنمسا تصريحات تولياتي وتوريز القائلة ان فرنسا لن تحارب روسيا .

– يصر وفد المفاوضة الاردني برودس على وضع قضية اللاجئين برأس جدول الاعمال بينما يرفض اليهود ذلك .

٤ – استقال المستر فورستال وزير الدفاع الاميركي وحل محله لويس جونسون .

– رفضت النروج عقد معاهدة عدم الاعتداء مع روسيا ، واعلنت عن رغبتها بالانضمام للحلف الاطلنطي .

٥ – قررت سوريا قبول دعوة الدكتور بانش لمفاوضة اليهود .

– اعفي المستر مولوتوف من القيام باعباء وزير الخارجية الروسية وعين مكانه المسيو فيشنسكي .

٦ – قرر مجلس الامن توصية الجمعية العمومية بقبول اسرائيل في هيئة الامم .

– رفض الدكتور سوكارنو دعوة هولندا لحضور مؤتمر الدائرة المستديرة قبل ان تشكل الجمهورية الاندونيسية بجوكجاكارتا .

٧ – نفى نوري السعيد نبأ تخويل الوفد الاردني صلاحية التفاوض باسم العراق .

– شرعت بريطانيا بالقيام بمناورات واسعة في منطقة جبل طارق .

٨ – اعلن البنديت نهرو في لجنة الشؤون الخارجية البرلمانية ان الهند ستقطع علاقاتها مع الكومنولث البريطاني لتصبح جمهورية مستقلة .

٩ – قام اليهود بهجوم تدعمه المصفحات على القوات الاردنية بمنطقة العقبة .

– اعلن الستراتيجيون العسكريون الكبار في اميركا انهم على اقتناع تام بان روسيا لا تملك قوة كافية الآن لمواجهة الولايات المتحدة بحراً او جواً .

– الشيوعيون تشكل الوزارة الصينية الجديدة .

١١ – اشارت الدوائر الاميركية الرسمية الى ان ايران ستحصل على المساعدات العسكرية الاميركية اذا ما ظهر ان هنالك امكانية لتجدد الضغط الشيوعي على ايران وبلدان الشرق الاوسط .

١٣ – صرح وزيرا الحربية الاميركي والبريطاني بان اميركا وبريطانيا لا تريدان محاربة روسيا ولكنهما ستحميان مصالحهما .

– وصلت الهند وباكستان الى اتفاق عام حول حدود الهدنة الموقتة في كشمير .

– دعا مجلس الامن هولندا الى وجوب تطبيق قراره بالافراج عن الزعماء الاندونيسيين .

– تم الاتفاق على نص الحلف الاطلنطي وسيذاع يوم الجمعة القادم .

١٤ – بعثت بريطانيا بمذكرة الى اسرائيل تنذرها بان قواتها ستطلق النار على اية قوة تعبر الحدود الاردنية الفلسطينية .

– علم ان الستراتيجيين العسكريين قد اعدوا خريطة للمراكز الستراتيجية الروسية المحتمل مهاجمتها بحال نشوب حرب مقبلة ويقدر عددها بنحو سبعين مركزاً .

– اصدرت حكومة بورما عفواً عاماً عن قبائل الكارين الثائرة اذا هم القوا سلاحهم قبل يوم الخميس القادم .

١٥ – تكلم مندوب اندونيسيا في مجلس الامن محذراً الامم المتحدة بان الجمهورية الاندونيسية ستصفي حسابها في ساحات القتال مع الهولنديين اذا لم يطلق سراح زعماء الجمهوريين او يتخذ تدابير تأديبية بحق الهولنديين .

– خطب تريغفي لي فقال يجب العمل السريع لوقف النزاع القائم بين الشرق والغرب في السياسة الدولية والا فان العالم سيعود الى مشاهدة حرب عالمية جديدة تقضي على جميع معالم المدنية .

١٦ – اذيع في وشنطن ان الجمعية العمومية للامم المتحدة ستقرر في دورة نيسان المقبلة رفع المقاطعة الدبلوماسية عن اسبانيا .

١٧ – توصل الاردنيون والاسرائيليون الى اتفاق حول تخطيط الحدود لمدينة القدس .

١٨ – نشر في سبع عواصم اوروبية نص الميثاق الاطلسي وكانت اهم مواده المادة الخامسة التي تنص على ان الاعتداء على اية دولة بالحلف يعتبر اعتداء على دول الحلف كلها .

– زادت بريطانيا قيمة المساعدات لشرقي الاردن مليون جنيه .

– لا يزال مجلس النواب الايطالي منعقداً منذ ٣٨ ساعة لمناقشة الانضمام للحلف الاطلسي .

١٩ – هاجم الاتحاد السوفياتي الحلف الاطلنطي واعلنت الاذاعة السوفياتية انه مغامرة عسكرية تقوم بها الولايات المتحدة لتغذي مطامعها الاستعمارية .

– دعا رئيس جمهورية الفيليبين الولايات المتحدة لتبادر الى انشاء حلف بين دول الباسيفيك شبيه بالحلف الاطلنطي .

٢١ – وزير خارجية العراق يكذب نبأ انسحاب العراق من الجامعة العربية .

٢٢ – قدمت اسرائيل احتجاجاً الى مجلس الامن لوجود قوات بريطانية في العقبة .

٢٣ – نشر في بيروت نص اتفاقية الهدنة بين لبنان واسرائيل .

٢٤ – انتهت في بيروت لجنة التوفيق من الاستماع لوفود الدول العربية والهيئات غير الرسمية بصدد مشكلة اللاجئين .

مطابع صادر ريحاني – تلفون ٦٨ – ٦٣